مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية،المجلد28،العدد8: 2020.
Journal of University of Babylon for Humanities, Vol.(28), No.(8): 2020.

الذاتية في اللغة من الخطاب إلى النظام

نرجس باديس
المعهد العالي للغات بتونس/ قسم اللغة العربية وآدابها
narjessbadis@gmail.com

معلومات البحث
تاريخ الاستلام : 3 / 8/ 2020
تاريخ قبول النشر: 2020 /9/19
تاريخ النشر:5 / 11 / 2020

المستخلص:

نتناول في هذا البحث ظاهرة الذاتية في اللغة بالبحث والتمحيص لنثير بعض التساؤلات حول كيفية تناول اللسانيين لهذه الظاهرة وكيفية وصفهم وتفسيرهم لها. ويقف البحث على أسباب تأخر عناية اللسانيات بهذا المفهوم ويبرز عدم كفاية المقاربة المعجمية في التفسير.

فالإجماع شبه حاصل على أن الذاتية متجذرة في اللغة. لكن يبقى السؤال مطروحا حول مظاهر هذا التجذر وكيفياته ودلالاته. وهل نجح اللسانيون في الاستدلال عليه؟

نسعى عبر هذا الطرح إلى تبيين منزلة الذاتية في الأسس النظرية التي وضعها اللسانيون على اختلاف نظرياتهم. ونقدم اعتمادا على قراءة لبعض النظريات اللسانية تصورا لتجذر الذاتية يبدأ بتبيّن مظاهره في الخطاب المنجز لينتهي بإدراك امتداد جذوره في النظام اللغوي المجرد.

الكلمات الدالة: ذاتية، خطاب، نظام.

Subjectivity in Language from Discourse to Competence

Narjess Badis
Higher Institute of Languages in Tunisia / Department of Arabic Language and Literature

Abstract

This article deals with the phenomenon of subjectivity in language to raise some questions about how linguists approach, describe, and explain it. The article considers the reasons behindthe insufficient attention paid to this concept in linguistics andhighlights the insufficiency of the lexical approach in interpretation. In fact, the study has found that subjectivity is deep-rooted in language. However, there remains the question about the manifestations, methods and implications of this rootedness and whether or not the linguists have succeeded in identifying it.

Thus, the study seeks to demonstrate the status of subjectivity in the theoretical foundations laid by linguists, regardless of their different theories, and based on a reading of some linguistic theories, a conceptualization of the rootedness of subjectivity is presented, beginning with its manifestations in the accomplished discourse, ending with the realization of its roots in the abstract linguistic system.

Key words: subjectivity, discourse, competence.

Journal of University of Babylon for Humanities (JUBH) by University of Babylon is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المقدمة:

نتناول في هذا البحث ظاهرة الذاتيّة في اللغة، هذا المفهوم الإشكاليّ الذي يؤثر تأثيرا مباشرا في قضايا التأويل الدلاليّ بوصفه عاملا أساسيا في تحديد المعنى المقصود. والذاتية التي هي حضور الذات المتكلّمة المنشئة للقول في الموضوع ظاهرة لغويّة تنشأ باللغة وتتجلّى فيها. ورغم ذلك لم يعتن بها اللسانيون الغربيون إلا في مدة متأخّرة مع التفاتهم للاستعمال ولدراسة الخطاب أي مع ظهور الاتجاه التداوليّ.

فللمباحث التداوليّة مزيّة المبادرة بالعناية بالذاتيّة في مجال اللسانيّات. إذ لا سبيل إلى العناية بالمقام والتداول والاستعمال والتخاطب معزولة عن الذات المتكلّمة باعتبارها منجزة لعمل التلفظ. فتمسّ الذاتية كل المباحث التداولية من إشارة مقامية إلى أعمال لغوية إلى دلالات ضمنيّة.

والذاتية مفهوم تنازعته أهمّ مجالات البحث والفكر ونقصد الفلسفة والعلوم. فالفلسفة قد تبنّت هذا المفهوم بوصفه متعلقا تعلّقا مباشرا بمدار بحوثها وهي الذات. والعلم يعتني به من حيث حرصه على الاتّسام بنقيضه وهو مفهوم الموضوعيّة. والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف اعتنت اللسانيات بهذا المفهوم؟ وكيف كان توصيف اللسانيين للذاتية؟ وما هي منزلة الذاتية في أنساقهم النظريّة؟

1) الأسس النظريّة المعتمدة في تناول مبحث الذاتية في هذا البحث:

نبحث في الذاتيّة لا باعتبارها ظاهرة تخاطبيّة استعماليّة تتجلّى فقط في مستوى الإنجاز والتلفّظ، بل باعتبارها ظاهرة تداوليّة يولّدها النظام اللغويّ ويساهم في إنتاجها بفضل التعامل بين بناه المجرّدة. فنحن نفترض أنها ظاهرة مسجّلة في النظام اللغويّ في مستوى البنى المجرّدة. وهي فرضيّة تستقيم في إطار توجّه فكريّ عامّ يقرّ بالتلازم واستحالة الفصل بين الجهاز واشتغال الجهاز في الأنظمة الطبيعيّة. فخصائص النظام لا تدرك إلا عبر مظاهر اشتغاله واستعماله.

وهذا التصوّر يستلزم إنكار الفصل بين مجالات البحث اللغويّة ويقتضي السعي وراء تصوّر نظريّ لنظام لغويّ قادر على تفسير كلّ الظواهر اللغويّة الاستعماليّة. فجميع الاستعمالات إنّما يمكّن منها النظام النحويّ ويتحكّم فيها، ولا شيء يفلت من هذا التحكّم. فالنظام الذي ينتج الجملة باعتبارها وحدة نحويّة هو نفس النظام الذي ينتج القول باعتباره وحدة الخطاب. وإنتاج الدلالة يستلزم اشتغال كلّ المكوّنات اللغويّة من دون تفاضل أو تفاوت في القيمة. فاعتقادنا راسخ في أنّ النظريّة اللسانيّة الناجحة هي النظريّة التي توثق الرباط بين البنية والدلالة، بين النحو والتداول، أي بين اللغة واللسان والكلام. فلا نحتاج إلى نظريّات مختلفة تفصل بين المجالات اللغويّة بقدر ما نحتاج إلى نظريّة موحّدة قادرة على تفسير الميكانيزم البنيويّ الدلاليّ. ولا نحتاج إلى نحويين وتداوليين بل نحتاج إلى نحويين تداوليين. ولذلك فإنّ النظام اللغويّ المتصوّر يجب أن يكون قادرا على تفسير الدلالات اللسانية والدلالات الخارج–لسانيّة على حدّ سواء. وهو ما يؤسّس للبحث في الذاتيّة بين الخطاب والنظام. فالدلالة في تصوّرنا لا يمكن أن تكون إلاّ دلالة مقاميّة. وكلّ تصوّر نظريّ في وصف اللغة يستثني الدلالة أو يستثني المقام هو تصوّر لا يراعي حسب اعتقادنا مقوّمات النظام اللغويّ الطبيعيّ. ولذلك حرصنا في بحثنا على اعتماد النظريّات اللسانية المراعية لهذه الأسس.

والناظر في التراث النحويّ العربيّ يجد فيه ما يقوّي افتراض أنّ الأسس التداوليّة هي من مقتضيات الأسس النحويّة وأنّه لا يستقيم أحدها من دون الآخر[1]. ولا يعني ذلك أنّ العلاقة التي تجمعهما هي علاقة تكامل بل نرجّح أنّ العلاقات النحويّة البنيويّة هي التي تنتج المعاني المختلفة وأنّه لا سبيل لتشكّل الدلالة خارج

البنية[2].وهو ما يستلزم البحث في العلاقة بين النحو والتداوليّة والنظر في مظاهر تحكّم الأبنية النحويّة في الدلالات المقاميّة التداوليّة. وتقصّي مظاهر تسجيل النظام اللغويّ للمقام وكيفيّة حضوره في البنية.[3]

فمن الواضح في مستوى الخطاب وباستعمال البنية المعجمة أنّ الأصل فيها التجرد من الذات وأنّها تبنى بناء موضوعيّا باعتبار مبدأ التواضع فتكون الموضوعيّة ظاهرة مسيطرة بتغييب المتكلم وتكون قابلة للاستنقاص باستحضار عبارات الذاتيّة. غير أنّ الأقوال لا تكون خالصة للموضوعيّة إذ نجدها مشوبة دائما بنفس ذاتيّ نحاول تجاهله وعدم إبرازه لنوهم أنفسنا بالموضوعيّة. وهو ما جعلنا نفترض أنّ الذاتيّة ظاهرة تتجاوز الخطاب والمتكلم المقاميّ.

فالذاتيّة التي اعتبرها أغلب الباحثين ظاهرة دلاليّة تخاطبيّة استعماليّة تداوليّة تتقوّم باختيار المتكلّم المقاميّ له أن يستحضرها أو أن يغيّبها هي عندنا ظاهرة نظاميّة بالأساس تفرض نفسها فرضا عليه باعتبارها مكوّنا من مكوّنات البنية المجرّدة. فهي دلالة يولّدها النظام اللغويّ بمختلف مستوياته المجرّدة.

في هذا الإطار النظريّ العامّ يتنزّل بحثنا في الذاتيّة. ونحاول إبراز تصوّرات لسانيّة لدراسة هذه الظاهرة قادرة على وصف كيفيّة اشتغال حركة المدّ والجزر بين الذاتية والموضوعيّة في مستوى الخطاب.

2) الذاتيّة من الفلسفة إلى اللسانيّات:

بدا لنا أنّ عناية الفلسفة بهذا المفهوم عناية تكاد تبلغ حدّ الاحتكار قد أوهمنا بأنّه مبحث فلسفيّ لا مبحث لسانيّ. خاصّة وأنّ حرص اللسانيين على عدم اقتحام مجال الفلسفة قد كان واضحا وصريحا. وقد بدا لنا أنّه اختيار يبرّره حرص اللسانيين على وضع حدود بين المجالات لإثبات استقلاليّة علم اللسانيّات في بداياته. هذا إضافة إلى أنّ قضايا الذات والموضوع هي قضايا فلسفيّة بامتياز اعتنى بها الفلاسفة وأفاضوا البحث فيها (ديكارت وكانط). ثمّ إنّه لا يخفى التوجّه اللساني العام إلى إقصاء الذات من البحث اللساني، وتخليص الظواهر اللغويّة من كلّ مظاهر الذاتيّة ترسيخا لبحث موضوعيّ يسعى إلى أن يكون في مصافّ العلوم. فكان الفصل بين الذات واللغة. وهو توجّه دعمته الاتجاهات البنيوية (الوظيفية مع مارتيني والتوزيعية مع بلومفيلد) بالحرص على عزل الرسالة باعتبارها موضوع الدراسة اللسانية والفصل بينها وبين الباث من جهة والمتقبّل من جهة أخرى.

وهو فصل نراه مخالفا للطبيعة. وهو ما جعلنا نفترض أنّ التلازم بين الذات واللغة يؤسّس لمفهوم الذات اللغويّة من جهة، كما يؤسّس لمفهوم اللغة الذاتيّة من جهة أخرى. فلا توجد لغة خارج الذات كما أكّد بنفنيست[4]. وليست ماهية الذات إلاّ ماهية لغويّة. ولكنّ الأمر متعلق في مجال الخطاب بلعبة قائمة على الظهور والتخفّي تقوّي وتضعف الإيهام بالانفصال.

فالتعالق التلازميّ بين الذات والموضوع ثابت في اعتقاد الجميع "**فلا يوجد موضوع إلا بالنسبة إلى ذات**" و"**كلّ وعي هو وعي بموضوع**"[5]. ممّا يجعل الإفلات من سيطرة الذاتيّة أمرا يكاد يكون مستحيلا، نوهم أنفسنا به في ضرب من التعاليّ لإثبات تغلّبنا على ذواتنا وقدرتنا على التجرّد من الفرديّة والانصهار في الجماعة. وهو ما يستلزم وضع قيود وضوابط للتحديد. ويبقى الهدف بالنسبة إلينا هو إدراك القوانين التي تؤسّس لهذه الذاتية، ومحاولة تفسير كيفيّة اشتغال اللغة لتمثيل هذه الجدلية بين الذات والموضوع، وكيف تساهم بخصائصها البنيويّة في توليد هذا المعنى وفي تمثيل المتكلّم المقاميّ، ومحاولة المساهمة في البحث عن إجابة للسؤال الذي طرحه بنفنيست[6]: "**أين هي عناوين اللغة التي تؤسّس الذاتيّة؟**". وهو سؤال قدّم له بنفنيست إجابة تتّسم –بحسب رأينا– بالتعميم والإجمال وتحتاج إلى التدقيق والتخصيص إذ يقول:

"في الواقع اللغة تجيب عن هذا بكلّ مكوّناتها. فهي موسومة بعمق بعبارة الذاتيّة إلى حدّ يجعلنا نتساءل: لو بنيت بناء آخر، هل يمكن لها أن تشتغل وأن تسمّى لغة؟ نحن نتحدّث فعلا عن اللغة وليس فقط عن الألسن المخصوصة. غير أنّ ظواهر الألسن المخصوصة التي تتطابق تشهد لصالح اللغة".

ولعلّ طرح ثنائيّة الذاتيّة والموضوعيّة في المجال اللسانيّ يختلف عن تناولها في المجال الفلسفيّ والعلميّ، وذلك لسبب بسيط يتمثّل في أنّ اللغة في أيّ مجال آخر غير المجال اللسانيّ هي مجرّد وسيلة وأداة للتعبير عن الفكرة، ممّا يجعل الفصل بين مضمون القول وكيفيّة القول يسيرا. وهو ما مكّن الباحثين من تصنيف المعارف إلى معرفة ذاتيّة ومعرفة موضوعيّة. فميّزوا بين معرفة أولى هي معرفة الذات بالشيء، ومعرفة ثانية هي معرفة غير شخصيّة لا تحيل على ما يعرفه الشخص. هي "**معرفة دون ذات عارفة**"."[7] ولا تخصّ هذه المعرفة عمل التفكير الذاتيّ. بل تتعلّق بالمضمون الموضوعيّ لهذا التفكير. فـ"**تحيل المعرفة الموضوعيّة على العلاقات المنطقيّة بين الأفكار. وتعدّ كأنّها معرفة خارج ذهن الأفراد لا شيء من الداخل**"[8]. فمن المسلّم به ما أكّده بوبار[9]من أنّ "**كلّ عمل علميّ هو عمل موجّه نحو تطوير المعرفة الموضوعيّة**" ممّا يجعل العلميّة والذاتيّة قطبان لا يلتقيان.

ولئن كان هذا الفصل والإبعاد ممكنا بل ضروريّا في مجال العلوم لبناء الفرضيات وعزل المعرفة عن الذوات الفردية، فإنّه غير ممكن في مجال اللغة والبحث اللساني الذي يهدف إلى البحث عن علاقة اللغة بالذهن وتحديد أشكال التعالق بينهما. فلا سبيل في مجال اللسانيات وفي تصوّر يعتبر كيفيّة بناء الدلالة هو الدلالة للحديث عن قول دون قائل وملفوظ من دون متلفّظ وبنية من دون منشئ. إذ يستحيل التمييز بين الذات والموضوع عسيرا لشدّة التداخل. وهو ما يسوّغ اختلاف اللسانيين في حدّ الذاتيّة واختلاف المقاربات في تناولها. وهو أيضا ما جعلنا نذهب إلى أنّ الإشكال في التحديد هو إشكال منهجيّ بالأساس يتعلّق بتحديد تصوّرنا للنظام اللغويّ ولوظيفة اللغة ولعلاقتها بالوجود. وينبّه –بحسب اعتقادنا– إلى ضرورة تغيير الآليّات والمفاهيم التي نباشر بها المسألة في مجال اللسانيّات.

ولذلك بدا لنا أنّ زاوية النظر العلميّة في تناول الذاتية قد أثّر تأثيرا سلبيّا في تناول اللسانيين لهذا المفهومفي الفترة الأولى من ظهور اللسانيات. فقوبل بالتهميش والتجاهل ثمّ بالنزعة إلى حصر الظاهرة والتضييق عليها بمحاولات الحصر والضبط في قائمة لفظيّة[10]. ثم شهد تطوّرا وتعمّقا بتطور اللسانيات العرفانية La Linguistique cognitive.

3) اختلاف المقاربات اللسانية في تناول الذاتية:

بعد أن كان مبحث الذاتية مبحثا فلسفيّا تحوّل بالتفات اللسانيات إليه إلى مبحث تداوليّ مجاله الاستعمال والخطاب ومداره المتكلّم المقاميّ المنجز. غير أنّنا نرى أنّ الذات المتكلّمة ممثلة في النظام في بعد تجريديّ مسيطر على المنجز من الأقوال. ونبرز في هذا البحث وجوه مختلفة من حضور المتكلم في اللغة تختصر تصورات نظرية في تمثّل الذاتية في اللغة وتعكس رؤى مختلفة في تصوّر علاقة الذات المتكلمة بالقول المنجز وتتفاوت في درجة تجريد المتكلّم ممّا يؤشّر على حضوره في مستويات مختلفة من النظام اللغويّ.

وهو أمر لا يحصل إلاّ بالتمييز الواضح في التناول بين مفهومين مختلفين ومتعالقين في آن هما الذاتيّة والفرديّة. فقد بدا لنا أنّ التناول اللساني للظاهرة الذي يقصر الظاهرة على المتكلّم المقاميّ المنجز في مجال الخطاب لا يكاد يميّز بين المفهومين. في حين أنّنا نعتبر أنّ المتكلّم المقامي هو مجرّد فرد يستغلّ الوسائل التي يمكّنه منها النظام في التعبير عن الذات. فتعدّ الذاتية في تصوّرنا تجريدا للفرديّة وتستحيل مقوّما من مقوّمات النظام اللغويّ وأسّا لا يستقيم من دونه. وسنعود إلى تدقيق هذا التمييز لاحقا عند تقديم مراتب

لحضور المتكلم في مستويات النظام اللغويّ. فالدلالة في تصوّرنا لا يمكن أن تكون إلاّ دلالة مقاميّة. وكلّ تصوّر نظريّ في وصف اللغة يستثني الدلالة أو يستثني المقام هو تصوّر لا يراعي –بحسب اعتقادنا– مقوّمات النظام اللغويّ الطبيعيّ. ولذلك حرصنا في بحثنا على البحث عن النظريّات المراعية لهذه الخصائص والاعتماد عليها.

وقد استخلصنا من قراءة التناول اللسانيّ للذاتيّة إمكانيّة تصنيف تناولهم حسب ثلاث مقاربات: مقاربة لفظية معجمية، ومقاربة دلالية تصوّرية، ومقاربة نحويّة إعرابية. وهي الأسس المقوّمة لكلّ نظام لغويّ مهما اختلفت تصوّراتنا للنظام. وهي اختلافات استخلصناها ممّا تجلّى لنا من اختلاف اللسانيين في تحديد الذاتيّة. فمن المعلوم أنّ أوّل من اعتنى بالذاتية من اللسانيين هو ايميل بنفنيست في كتابه « Problèmes de linguistiques générales ».[11] وأهمّ ما قدّم في دراسته للذاتيّة يتمثّل، حسب رأينا، في إقراره[(12)]. أنّ اللغة "**موسومة بعمق بعبارة الذاتيّة**" وأنّ " **الذاتية متجذّرة في اللغة**"[(13)]. وهو إقرارمن شأنه أن يفتح أبواب البحث في الذاتية ويطوّره ويجعل المداخل إليه متنوعة. إذ يثير التساؤل حول مظاهر التجذر: كيف يتجلّى هذا التجذّر؟ كيف ندرك مظاهره؟ ما معنى اللغة عنده: هل هي اللغة الخطاب أم اللغة النظام ؟[(14)] هل الذاتية دلالة تداوليّة لا تتجلّى إلاّ في مستوى الخطاب؟ أم هي ظاهرة ممثّلة في النظام باعتباره مسيطرا على الإنجاز؟

3)– 1 اختلاف اللسانيين في تحديد الذاتيّة:

نقف على أربعة لسانيين اعتنوا بالذاتية وساهموا –بحسب رؤيتنا– في فتح أفق البحث فيها. وهم بنفنيست Benveniste ولاينز Lyons وأوروكيوني Orocchioni ولانقاكير Langaker. إذ قدّموا حدودا للذاتية من زوايا نظر مختلفة تختلف باختلاف خلفيّاتهم النظرية، حدودا نعدّها مؤثرة في تطوير البحث اللساني في الذاتيّة وتؤسس لتجاوز مستوى الخطاب إلى مستويات في النظام أكثر تجريدا.

فالذاتية كما عرّفها بنفنيست هي "**قدرة المتكلم على أن يضع نفسه "موضوعا**"[(15)]. ويستحضر بنفنيست "**المتكلّم**" المستعمل للغة الذي يجعل نفسه حاضرا في القول بوصفه متحدّثا عنه، أي موضوع الحديث. فيدل بذلك على أننا في مستوى الاستعمال والإنجاز وأنه يستحضر المتكلّم المقاميّ. مما يسوّغ نزعة أوروكيوني إلى العناية بالظاهرة في مجال التلفّظ وحصرها في الوحدات المعجميّة الدالة أو المحيلة على المتكلّم[(16)]. فتحدّد أوروكيوني الذاتية بكونها "**الآثار اللسانية لحضور المتكلم في قوله**"[(17)]. فمجالها الخطاب وقوامها اللغة بألفاظها ووحداتها المعجمية.

غير أنّ ما يسترعي اهتمامنا أيضا في تعريف بنفنيست هو عبارة "**القدرة**". ممّا يثير فينا تساؤلات: من أين لهذا المتكلّم المقامي بهذه القدرة؟ كيف تمكّنه اللغة من أن يضع نفسه موضوعا؟ هل يقتصر حضور المتكلّم في القول على كونه موضوعا؟ أسئلة نرى أنّ تعريف لاينز للذاتية يجيب عنها.

فالذاتية مع لاينزLyonsهي "التعبير عن الذات"، هي " **الطريقة التي تتوفر للغات الطبيعية في بنيتها وفي كيفية اشتغالها العادية لتعبير فاعل القول عن نفسه وعن مواقفه ومعتقداته الخاصة** "[(18)].فمجالها اللغة ببنيتها وعلاقات مكوّناتها بالإضافة إلى كيفيّة اشتغالها وهو مستوى يفارق المستوى اللفظيّ المعجميّ ويجاوز مجال الخطاب والإنجاز. ويؤسّس لمقوّمات بنيوية في تمثيل الذاتيّة وحضور المتكلّم.

أمّا الذاتية مع لانقاكير فتفارق المستوى التلفّظي التخاطبيّ لتستقرّ في المستوى التصوّريّ."**فالذاتيّة والموضوعيّة يتعلّقان بالمشاركين عبر العلاقة التصوّريّة المستقطبة** "[(19)].

فيعتمد مستوى تجريديّا عميقا يتمثّل في مستوى"**البنية التصوّريّة**". وهي بنية دلاليّة مجرّدة. فيتجاوز لانقاكير مستوى المتكلّم المتلفّظ الذي يضع نفسه موضوعا في القول إلى مستوى "المتصوّر" المنشئ للتصوّرات من

داخل البنية. فـــ"الذاتيّة" و"الموضوعيّة" عنده يتعلّقان تعلقا مباشرا باللاتناظر الملازم للعلاقة التصوّريّة. فلا تقوم العلاقة بين الذات المتكلّمة وموضوع القول. بل تقوم على طرفين متلازمين هما "**المتصوّر**" **the conceptualizer** و"**موضوع التصوّر**".فيقدّم بذلك تصوّرا لتجريد المتكلّم المقاميّ ويؤسّس لحضوره في البنية التصوّرية المجرّدة.

والناظر في كل هذه التحديدات يستنتج اختلاف المداخل في تناول ظاهرة الذاتيّة. فبنفنيست يشير إلى "القدرة "، لاينز يشير إلى "البنية"، أوروكيوني تشير إلى الوحدات المعجميّة. ولانقاكير يشير إلى "البنية الدلالية التصوّريّة".فاعتمادا على هذه الحدود يمكننا أن نتبيّن مستويات مختلفة في تناول الظاهرة تتفاوت حسب درجة التجريد. فالوحدات المعجمية تمثّل مستوى لفظيّا أقلّ تجريدا بالضرورة من مستوى "البنية" الذي هو علاقات مجرّدة من اللفظ. وهو أيضا مفهوم يحيل على مظاهر بنيويّة مختلفة مثل البنية الإعرابيّة والبنية الدلاليّة...

أمّا مفهوم "القدرة" مع بنفنيست، وإن تعلّق في نصّ بنفنيست بالإنجاز والاستعمال، فإنّه يفتح مجال العرفان والقدرات الذهنية وما يمكّننا منه النظام اللغويّ ببعده العرفانيّ الكامن. فتتجلّى لنا قيمة ما قدّمه لانقاكير في مستوى البنية التصوّريّة. وهي مقترحات تنبه إلى أنّ ظاهرة الذاتية جذورها ضاربة في النظام اللغوي بمستوياته المختلفة والمتفاوتة في التجريد وتنبّهنا إلى أنّ الاقتصار على تناول الظاهرة في بعدها اللفظيّ وفي مستوى الخطاب فحسب يجعل الدراسة منقوصة.

3)-2 في عدم كفاية المقاربة المعجميّة للذاتيّة:

نقصد بالمقاربة المعجميّة اعتماد الألفاظ المعجمية وتصنيفها حسب دلالتها على الذاتية أو على الموضوعيّة وحصر قائمات لفظية أو رؤوس لقائمات تتفاوت فيها القوة على التعبير عن الذاتية في الألفاظ. وهو ما بدأه بنفنيست[20] و دقّقته وأبرزته بعده أوروكيوني.

فبيّن بنفنيست تجلّي الذاتيّة في ضمائر الشخص وما تعلّق بها من عبارات ظرفيّة زمانيّة ومكانيّة . ووقف عند الدلالة الزمانيّة في الأفعال فأكّد أنّ[21]"**الشكل الفعليّ لا يمكن أن يحمل أيّ شكل افتراضيّ و"موضوعيّ**""باعتبار شدّة تعلّقها بـــ"**الحدث الفرديّ للخطاب**"[22]. ثمّ بيّن خصائص الأفعال الإنجازيّة التي أبرز عبر دراستها أنّ الذاتيّة لم تعد مقتصرة عنده على أن يكون المتكلّم "موضوعا" في اللغة بل تشمل أيضا مظاهر تعبير المتكلّم عن مشاعره ومواقفه.

وعدّ"**ضمائر الشخص هي الركيزة الأولى لبروز الذاتيّة في اللغة**"[23]. وتتعلّق بها عبارات أخرى توسّع شيئا فشيئا من مجال الذاتيّة. ووقف عند الدلالة الزمانيّة وقفة مطوّلة ليبرز أنّ كلّ الألسن لها انتظام لسانيّ لمفهوم الزمن. وجميع الأزمنة ترجع إلى نقطة هي الحاضر."**غير أنّ هذا الحاضر بدوره ليس له إحالة زمانيّة إلاّ المعطى اللسانيّ**"[24]. "**فالزمانيّة الإنسانيّة temporalité بكلّ آلاتها اللسانيّة تكشف الذاتيّة الملازمة لممارسة اللغة ذاتها** "[25].

وأخيرا وقف على ما سمّي لاحقا مع نظريّة الأعمال اللغويّة بـــ"الأفعال الإنجازيّة". فأقرّ[26] اختلافا في الذاتيّة بين "**أنا أتألّم** " التي تتساوى بـــ"**أنت تتألّم** " و"**هو يتألّم**" من حيث كونها تمثّل وصفا لحدث يختلف فيه الشخص المسند إليه، و"**أنا أعتقد**" التي يصفها بكونها "**تلفّظا ذاتيّا**" باعتبار أنّ عمليّة التفكير هنا ليست هي موضوع التلفّظ. فتتمثل الذاتيّة عنده في أنّ المتكلّم "**يأخذ موقفا ممّا يتلفّظ به**"."**فهذا الشكل الشخصي هو مشير إلى الذاتيّة. فتعطي للإثبات الذي يليها المقام الذاتيّ**" **في مثل** "**أظنّ أنّ(...)** "**أعتقد أنّ(...)** " **أفترض أنّ(.....)**" **أفكّر في أنّ (....)**"

ويؤكّد أنّ "**تجلّي الذاتيّة هنا لا يبرز إلا مع ضمير التكلّم**"[27]. كما ينبّه إلى أنّ الخصيصة الإنجازيّة للأفعال مثل "**أقسم، وعد، ضمن، أعلن،..**" متأتّية من شرط أساسيّ يتمثّل في أنّ " **التلفّظ يتّحد مع العمل نفسه**". "**وهذا الشرط ليس معطى في دلالة الفعل. ولكنّه يصبح ممكنا بفضل** "**ذاتيّة** "**الخطاب ولذلك يختلف** "**أنا أعد**" **عن** "**هو يعد**". ممّا يؤشّر على أنّ الظاهرة تتجاوز مستوى الوحدات والدلالات المعجمية للأفعال أو لغيرها من الألفاظ إلى مستوى التفاعل والتعامل بين الوحدات في مستوى بنية أوسع.

والناظر في دراسة بنفنيست لمظاهر الذاتيّة كما تجلّت في مقالاته يلاحظ أنّه قد اقتصر على أشكالها الصريحة من دون مظاهرها الضمنيّة. فحافظ على ثنائيّة الذاتي والموضوعيّ التي تمثّل خصيصة لأنظمة الألسن. ويتجلّى ذلك بوضوح في تمييزه بين "الخطاب" و "السرد التاريخيّ"[28]. غير أنّ حرصه على تأكيد شموليّة الذاتية وعمق تجذرها في اللغة وما استخلصناه من غياب النزعة إلى إغلاق القائمات اللفظية والوقوف فقط على رؤوسها يؤكّد لنا أنّ ما قدّمه بنفنيست يتجاوز المستوى اللفظيّ المعجميّ ويطمح إلى "سبر أغوار البنية". ولذلك اعتبرنا ما أنجزه قد فتح الأبواب على مصراعيها لدراسة أعمق وأثرى.

أمّا أوروكيوني فقد حدّدت ظاهرة الذاتيّة في "التلفّظ" بكونها: "**الآثار اللسانيّة لحضور المتكلّم في قوله**"[29]. وحصرتها في "**الوحدات الدالة التي يحمل الدال فيها سمة الذاتية والي يستوجب تحديدها الدلاليّ ذكر المستعمل لها**"[30].

فاعتمدت للبحث في الذاتية مدخل " المشيرات المقامية"[31]بوصفها عنوان الذاتية. فحاصر البحث فيها هاجس حصر ظاهرة الذاتية ووضع حدود لفظية لها تحضر بحضورها وتغيب بغيابها.

ولئن كانت تدعم بنفنيست في اعتباره الذاتيّة متجلّية في جميع الاختيارات التي تلزم المتكلّم "**باعتبارها ذاتيّة omniprésente لاحدود لها**"[32] فإنّها تحصر هدف بحثها– خلافا لهدف بحثنا– في "**التحديد والإحاطة بالنقاط الأكثر جلاء في إرساء ذاتيّة اللغة**".وهذه النقاط عندها تتمحور حول الوحدات المعجميّة.

وتؤكّد أوروكيوني[33] المنهج والطريقة التي ستعالج بها ظاهرة الذاتيّة والداعمة لاختيار نظريّ قائم على ضرورة التمييز الصارم بين

"**ما يقال – القول– وحضور المتكلّم داخل خطابه الخاصّ به – التلفّظ . فإن توارى هذا الحضور وراء مقاربة موضوعيّة، فإنّ التمييز السابق يصبح قليل النجاعة**".

فالتمييز بين القول والتلفّظ يمكّن من تخفّي المتلفّظ وراء قوله للمحافظة على الموضوعيّة. ولذلك فإنّ الاعتماد على تقصّي آثار الذاتيّة بالاقتصار على المستوى المعجميّ والوحدات المعجميّة "الذاتيّة" كما تصفها يضمن لها احترام هذا المبدإ والمحافظة على ثنائيّة الذاتيّ/ الموضوعيّ.

وهو تمشّي نخالفه في بحثنا إذ أنّنا نفترض أنّ ّ علاقة الذاتيّ بالموضوعيّ لا تقوم على التقابل بل تقوم على الاسترسال. وأنّنا نعتبر أنّ الاقتصار على المعجم في تقصّي الذاتيّة لا يمكّننا من رؤية شاملة للظاهرة، باعتباره ليس ممثّلا للغة بل لمستوى من مستوياتها فحسب. هذا بالإضافة إلى أنّه يعسر التمييز بين الوحدات ويصعب تصنيفها إلى وحدات ذاتيّة ووحدات موضوعيّة إذا عمّقنا الرؤية في بنيتها الدلاليّة الداخليّة. وقد أقرّت أوروكيوني[34]بأنّه "**من المسلّم به أنّ كلّ وحدة معجميّة هي، في وجه دلاليّ منها، ذاتيّة**".

وهذا ما نحاول أن نفسّره وأن نفهمهبتجاوز هذا المجال الضيّق الذي اختارته أوروكيوني إلى المجال الواسع للغة لا للقول أي للمستويات المجرّدة من اللفظ. وقد بدا لنا أنّنا وجدنا فيما أنجزته أوروكيوني ما يدعم طرحنا هذا. ونقصد إثبات بحثها، رغم المجهودات التي بذلتها، صعوبة تحديد مجال الذاتيّة، بل استحالته. ولم

تنأ الباحثة عن تأكيد ذلك. وانتهى بها الأمر إلى الإقرار بأنّ القضيّة لا تتعلّق بالبحث في عبارات ذاتيّة تقابل عبارات لاذاتيّة، بل البحث في درجات في الذاتيّة تقوى وتضعف[35]. ومثّلت على هذا التدرّج بـــهذا الرسم:

موضوعيّ ذاتـــــــــــــــي

عازب أصفر قصير طيّب

فنسبة الذاتيّة تتفاوت من عبارة إلى أخرى ومن قول إلى قول[36]

ولذلك نجدها تؤكّد مرّة أخرى أنها تسعى وراء "**الوحدات الدالّة التي يحمل الدال فيها سمة الذاتيّة والتي يستوجب تحديدها الدلاليّ ذكر المستعمل لها**"[37]. ولا نعتقد أنّها ستظفر بأكثر من المحور"أنا–الآن– هنا" لأنّها إن خرجت عنه ستجد نفسها مجبرة على استحضار كلّ الوحدات المعجميّة دون استثناء باعتبار أنّ كلّ الأقوال تدور في فلك هذا المحور بدرجات متفاوتة. وجميع الأمثلة التي قدّمتها تدعم هذه الرؤية. فنجدها مثلا تقدّم أمثلة من صنف تقديم شخص مّا بقولنا:

1– إنّه أستاذ

2– إنّه غبيّ أو إنّه عبقريّ

واعتبرت أنّ المثال 1) يقدّم خصيصة موضوعيّة. بينما يقدّم المثال2) خصيصة ذاتيّة تعبّر عن موقف المتكلّم. ويبدو لنا عبر هذا التصنيف أنّ صاحبة الكتاب قد غفلت عن كون هذه الأمثلة تمثّل أقوالا منجزة في مقامات محدّدة وأنّ الاستعمال قد يحمّل العبارات معاني أخرى غير المعنى الذي ذكرته. فهل ستبقى كلمة "أستاذ" ذات شحنة موضوعيّة إذا استعملت في مقام سخرية وتهكّم؟ أو في مقام تحقير؟ أو غير ذلك؟ وهل يجوز لها وهي التي حدّدت من البداية أنّها تبحث في مجال القول وتدرس ما سمّته بـــ énonciatéme أن تعزل العبارة عن مقامها ومستعملها؟ فكلمة "أستاذ" في المثال 1) قد تكون بمعنى 2). فهل ستكون حينئذ أقلّ ذاتيّة من عبارة"غبيّ" أو "عبقريّ"؟

فأروكيوني تعتمد في كلّ مرّة أمثلة هي التي تقرّر فيها متى تكون ذاتيّة ومتى تكون موضوعيّة. وتنتهي بعد كلّ تحليل إلى تحكّم الاستعمال في تحديد هذه الأصناف ممّا يؤكّد عدم نجاحها في ضبط قائمات محدّدة ومغلقة.

فعدّت كلّ ما يستعمل مشيرا مقاميّا يحيل على المتكلّم المنجز للقول ويعبّر عن حضوره فيه بوصفه "فاعلا" sujet أو موجّها له نحو حكم ذاتيّ أو موقف شخصيّ أو مشاعر خاصّة، يعدّ مظهرا من مظاهر الذاتيّة. ولذلك صنّفت هذه المظاهر بحسب الشخص، وتقصد: ضمائر التكلّم والخطابوالإحلال الزماني والمكاني المتحدّد بزمان التلفظ ومكانه مثل "الآن"و"البارحة" و"هنا" و"هناك"، يمينا وشمالا، أمام وخلف....والأعمال اللغويّة القائمة على أفعال إنجازيّة باعتبارها مسندة إلى ضمير المتكلّم في زمان الحاضر. ثمّ نجدها تتجاوز ذلك إلى جميع العبارات التقويميّة والصفات والأحكام والأفعال الذاتيّة وأفعال الرأي والعبارات الدالة على الجهة الخ...وتقرّر أخيرا أنّه لنا "**ذاتيّة صريحة**" و"**ذاتيّة ضمنيّة**" تتمثّل"**في العبارات الذاتيّة التي تحاول أن تبدو موضوعيّة** " في مثل تمييزها بين[38]:

3– أجد هذا جميلا

4– إنّه جميل

وأكّدت أنّ الجملتين متقابلتان من حيث ذاتيّة الأولىو"**إنتاج الثانية لأثر موضوعيّ**". ولكن سرعان ما ينتهي تحليلهاإلى أنّ الجملتين تتساويان دلاليّا في كونهما ذاتيّتين، وترتبطان بالمتكلّم. وفي هذا إقرار بأنّ الأقوال جميعا هي ذاتيّة وأنّ جميع الوحدات اللغويّة دون استثناء هي عبارات ذاتيّة "**تحاول أن تبدو موضوعيّة**" في بعض الاستعمالات، لأنّ المتكلّم قد قرّر في مقام مّا أن تكون كذلك. فيسقط بذلك المقياس الواضع للحدود الذي حرصت أوروكيوني على احترامه والمتمثّل في وجود عبارات تحمل دلالة ذاتيّة وعبارات تخلو منها فتؤسّس للموضوعيّة.

غير أنّ أوروكيوني ترفض أن تكون العلاقة بين النوعين من الذاتيّة[39]: الذاتيّة الصريحة والذاتيّة الضمنيّة، قائمة على ضرب من التحويل. وتتمسّك بالتمييز بين القولين على أساس أنّه تمييز يقدّم للمتكلّم "**امتياز .. أن يكون للمتكلّم الحقّ، بواسطة محي الرابط الذي يربط الجملة بذاتيّته الخاصّة، بأن"يتظاهر" بأنّ الحقيقة الحقّ هي التي تخرج من فمه**"[40]

ولذلك فإنّ "**الذاتيّة الضمنيّة**" عند أوروكيوني أو "**الذاتيّة غير الصريحة**"كما تسمّيها في بعض الاستعمالات تتمثّل أساسا في غياب المشير المقاميّ "أنا" من القول، وفي "**حضور غير مباشرللمتكلّم**" يتجلّى في تقييم أو رأي أو مشاعر[41]. وهذا التمييز –كما ذكرنا– هو تمييز معجميّ صرف يجعلنا نميّز بين قولين مثل: "**هو أستاذ**" و"**هو جميل**" باعتبار الأوّل موضوعيّا والثاني ذاتيّا.

وهذا التمييز لا يعير أهميّة للبنية المجرّدة للجملة. فمن الواضح أنّ اوروكيوني قد اعتنت أساسا بالذاتيّة بوصفها ظاهرة فرديّة يقرّرها المتكلّم المقاميّ عبر الاختيار و"المحي". ولم نر أنّها قد أبرزت دور الخصائص التركيبيّة والبنيويّة في هذا "المحي" الذي هو شكل من أشكال الحذف يكون للبنية الإعرابيّة المجرّدة الدور الأساسيّ فيه. فما أنجزته أوروكيوني يبقى منقوصا باعتبار أنّ بنفنيست لم يقصد أبدا الاقتصار على هذا المستوى المعجّم في تقصّي ظاهرة الذاتيّة. فالرجل قد أشار إلى تداخل المستويات اللغويّة المتفاوتة في التجريد وإلى أنّ "الذاتيّة في اللغة" ستطال من دون أدنى شكّ جميع هذه المستويات.

واعتماد المقاربة المعجمية اللفظية في تفسير ظاهرة الذاتيّة يقوم على النظر في الوحدات المعجميّة بوصفها كلاّ غير قائم على التركيب. فلا تعتني بالمكوّنات الداخليّة للوحدة ولا ترى لهذه المكوّنات دورا في التفسير. لذلك اعتمدت أوروكيوني منهج المقارنة بين العبارات حسب قوّة درجة الذاتيّة فيها حسب مقياس استحضار العبارة لمقوّمات حدث التلفّظ. فكانت لفظة "أنا" نسبة الذاتيّة فيها أقوى من لفظة "الرجل"، ولفظة "جميل" نسبة الذاتيّة فيها أقوى من لفظة "طبيب"..الخ. وتقاس نسبة ذاتيّة القول بمدى تكثيف استعمال الألفاظ المحيلة على الذات باعتبارها منشئة للقول والمحيلة على حدث التلفّظ. وهي رؤية تقوم على اعتبار المتكلّم مجرّد مستعمل لأداة تخاطبيّة. وتتجلّى سيطرته في تحكّمه في انتقاء العبارات ليجعل خطابه ذاتيّا أو موضوعيّا.

غير أن واقع الخطاب يثبت أن الأمر ليس بهذه البساطة وأنّ الأقوال تحمل درجات مختلفة من الذاتية حتى وإن خلت تماما من المشيرات المقامية وليس أدل على ذلك من تطور نظرية الأعمال اللغوية لتشمل الأفعال الصريحة وغير الصريحة والأعمال اللغوية المباشرة وغير المباشرة.

واعتماد المقاربة المعجمية يجعل الموضوعيّة أصلا، والذاتيّة ظاهرة طارئة تتجلّى في بعض العبارات التي يمكن حصرها. إذ أنّ أغلب الألفاظ تقوم على الغياب لا على الحضور ولا يظهر فيها المتلفّظ، لذلك كان الحرص على ضبط قائمة للمشيرات المقاميّة. غير أنّنانفترض عكس ذلك. فالذاتيّة هي الأصل. وليست الموضوعيّة في الظاهرة اللغويّة سوى ذاتيّة متلحّفة بلحاف الموضوعيّة نزعم وجودها ونتوهّمه لغاية في

أنفسنا. ويبقى أن نحدّد الآليّات النظاميّة التي تمكّننا من المراوحة بين الذاتيّة والموضوعيّة. فلئن كانت الألفاظ تقوّي الموضوعيّة وتغيّب الذاتية لأهميّة التواضع في التواصل باعتباره ظاهرة اجتماعيّة جماعيّة، فإنّ البنية المجرّدة من اللفظ تقوّي حضور الذات باعتباره المنشئ.

وهو ما يؤشّر على أنّ حضور المتكلم في الخطاب يتجاوز المستوى اللفظيّ، وأنّه باستعمال اللغة المتكلم لا يعبّر عن كون خارجيّ معزول ومنفصل عن ذاته، بل يعبّر عمّا يعتقد أنّه الكون الخارجيّ. وهذا الاعتقاد هو الذي ينعكس في الأقوال صريحا ومباشرا في الأساليب الإنشائيّة والمشيرات المقاميّة، وضمنيّا وغير مباشر في الأقوال التقريريّة المثبتة أو المنفيّة. وانتهى الأمر بالباحثين إلى الإقرار بأنّ نسبة الصفر من الذاتيّة لا تدرك في أيّ قول وبأنّ الموضوعيّة المطلقة ليست إلاّ وهما.

وهو ما يثير السؤال المهمّ الخاصّ بالأصول: من أين تنبع الذاتيّة؟ كيف نفسّر إقرار الكثير من الباحثين بأنّ الخطاب لا يخلص مطلقا للموضوعيّة وإن خلص من الألفاظ المستحضرة للذات وللمقام التخاطبيّ؟ كيف نفسّر سيطرة الذاتيّة على الأقوال لسانيّا؟ هل وجدت مناويل لسانيّة قادرة على تفسير ظاهرة تجذّر الذاتيّة في اللغة؟ هذه التساؤلات جعلتنا نفكّر في منهج مختلف من حيث التناول سميّناه بـــ"المقاربة الداخليّة"[42].

4) تجلّي الذاتية في مستويات النظام المجرّدة

4) 1- المقاربة الداخليّة في تناول الذاتيّة:

انطلاقا من نقد المقاربة المعجميّة في تفسير ظاهرة الذاتيّة وإبراز نقاط ضعفها انتهينا إلى التمييز بين ما سميناه بـــ"المقاربة خارجيّة" و"المقاربة الداخليّة" في التناول. فالـــ"مقاربة الخارجيّة" تعتمد النظر في الوحدات المعجميّة باعتبارها كلاّ غير قائم على التركيب. فلا تعتني بالمكوّنات الداخليّة للوحدة ولا ترى لهذه المكوّنات دورا في التفسير. لذلك يُعتمد فيها منهج المقارنة بين العبارات حسب قوّة درجة الذاتيّة فيها وحسب مقياس استحضار العبارة لمقوّمات حدث التلفّظ. فاكتفت بتصنيف العبارات وترتيبها في درجة قوّة الذاتيّة وضعفها. فبيّن اللسانيّون أنّ نسبة الذاتيّة في لفظة "أنا" أقوى من نسبة الذاتية في لفظة "الرجل"، ولفظة "جميل" أقوى من لفظة "طبيب" في الذاتيّة...الخ. وتقاس نسبة ذاتيّة القول بمدى تكثيف استعمال الألفاظ المحيلة على الذات وعلى حدث التلفّظ. وهي رؤية تقوم على اعتبار المتكلّم مجرّد مستعمل لأداة تخاطبيّة. وتتجلّى سيطرته في تحكّمه في انتقاء العبارات ليجعل خطابه ذاتيّا أو موضوعيّا. هذا التصوّر يجعل الذاتيّة دلالة استعماليّة مرتهنة بالمتكلّم المنجز وبإيقاع حدث التلفّظ. وهو يخالف فرضيّتنا.

ففكّرنا في منهج مختلف في التناول سميّناه بـــ"**المقاربة الداخليّة**" لا نعتمد فيه المقارنة الخارجيّة بين الألفاظ. بل ننظر في العبارة الواحدة في مكوّناتها الداخليّة وفي الحركة الداخليّة بين المستويات التي تبنيها ومظاهر التعامل الداخليّ بينها الذي ينتج النسبة التي تظهر لنا من الذاتيّة أو من الموضوعيّة. وهي مقاربة بنيويّة تتقوّم بما ذكرناه من مبادئ في بداية هذا العرض تتجلّى في:

- اعتبار الوحدة المعجميّة، شأنها شأن الجملة، وحدة مركّبة من مستويات بنيويّة دلاليّة متحرّكة وفي تعامل وديناميكيّة لا يعرفان سكونا.
- اعتبار الدلالة ناتجة عن هذه الحركيّة الداخليّة. فما ينعكس لنا من نسبة في الذاتيّة أو الموضوعيّة إنّما هو نتاج لتفاعل بين البنى المعجّمة والبنى المجرّدة وحركة داخليّة في تبادل زمام السيطرة والتحكّم بين المواضع، وفي إظهار المتحكّم الحقيقيّ أي العامل الأوّل وهو "المنشئ" المتصوّر" أو إخفائه.

فلا نعتمد المقارنة الخارجيّة بين الألفاظ. بل ننظر في العبارة الواحدة، في مكوّناتها الداخليّة وفي الحركة الداخليّة بين المستويات التي تبنيها ومظاهر التعامل الداخليّ بينها الذي ينتج النسبة التي تظهر لنا من الذاتيّة

أو من الموضوعيّة. فقد أشار بنفنيست ولاينز إلى مبدأ التجذّر وأكّداه، ونبّها إلى ضرورة "سبر أغوار البنية" وضبط المستويات والتقصّي عن الذاتيّة في البنية. ولكنّنا لم نجد أنّهما قد تجاوزا هذا التنبيه. وهو ما جعلنا نعتبر ما أنجزاه مجرّد تأشير على التجذّر يحتاج إلى تحليل وتعمّق واستدلال.[43]

هذا التصوّر قد قوّى لدينا افتراض أنّ الذاتيّة تعدّ مقوّما من مقوّمات النظام اللغويّ. وهي فرضيّة تستلزم البحث عن نظريّات لسانيّة مخصوصة تدعمها. فالذاتيّة عندنا ليست مجرّد ظاهرة من الظواهر اللغويّة التي تمكّننا منها اللغة. بل هي مقوّم من مقوّمات النظام اللغويّ نفسه. ممّا يستلزم اعتبارها ظاهرة مطلقة لا حدود لها. ولعلّ أهمّ ما يستدلّ به على هذه الفكرة هو تقصّي آثارا لحضور الذات في البنى اللغويّة المجرّدة من اللفظ.

4)– 2 حضور المتكلّم في المستويات المجرّدة من النظام اللغويّ:

من المسلّم به أنّ تحديد المستوى اللغويّ في معالجة الظاهرة أمر ضروريّ لا غنى عنه، باعتبار أنّ الظاهرة نفسها قد تتجلّى بطرق وأشكال مختلفة تختلف بالتحوّل من مستوى إلى مستوى آخر. وهو أمر نراه مهمّا جدّا في تفسير ما يبدو لنا من اختلافات بين النظريّات وفي تيسير إدراك ملاءمة بعضها لبعض. فنحن نفترض أنّ النظام اللغويّ يتحكّم في المنجز من الأقوال، وأنّ الاقتصار في تناول الظاهرة على مستوى الأقوال المنجزة والمستوى المعجّم من اللغة، وإهمال النظر في المستويات الأكثر تجريدا في النظام لا يصل بالبحث إلى منتهاه. وهو أمر أنتج حسب طرحنا تداخلا في البحث اللسانيّ بين الذاتيّة والفرديّة، ولم ينجح في تفسير التداخل الواضح بين الذاتيّة والموضوعيّة.

ونحن نفترض أنّ للذات المتكلّمة حضورا داخل البنية اللغويّة، حضورا قابلا لأن يمثّل في البنى المؤسّسة للنظام. فلا نتحدّث عن طرفين منفصلين هما الذات واللغة، فيكون المتكلّم مجرّد مستعمل لآليّةٍ تحقق وظيفة هي التخاطب والتواصل. بل نحن أمام رؤية تجعل الذات مكوّنا من مكوّنات النظام اللغويّ لا يستقيم بدونه، وتجعل اللغة مكوّنا من مكوّنات ماهية الذات تحقّق وجوده وكينونته. فلا تكمن سيطرة الذات المتكلّمة وحضورها في مجرّد قدرتها على اختيار البنية والوحدات المعجميّة وانتقائها. بل هي تعدّ مكوّنة للبنية من داخل البنية باعتبارها المنشئة لها.

وهذا ما يدعم فرضيّة أساسيّة تتمثّل في أنّ النظام اللغويّ حين يشتغل لا يمكن أن يشتغل إلا بوسائل وآليّات ذاتيّة. فهو موضوع على صورة تكرّس الذاتيّة. وهو ما يفسّر عندنا أنّه لا مناص للمتكلّم الفرد عند إنشاء القول من أن يكون قوله وهو في أقصى درجات الموضوعيّة ذاتيّا. وهو أيضا ما يفسر قدرة المخاطب على إدراك المعنى الضمنيّ المقصود بفعل التذاوتية [44] هذا المفهوم الناجم من التخاطب بفعل اتّسام النظام بالذاتية.

وهي فرضية تستلزم البحث عن نظريّات لسانيّة داعمة من حيث الأسس والمبادئ لهذا التوجّه، نظريّات تقدّم منوالا صالحا لتفسير بنية الجملة وبنية الكلمة على حدّ سواء. نظريّات تقدّم تصوّرات لنظام لغويّ يحكم الربط بين الكلام واللسان واللغة. نظريّات يكون للذات في النظام المتصوّر فيها حضور وتمثيل. وقد رأينا أنّ نظريّة لانقاكير في النحو العرفانيّ بما أنجزه في "البنية التصوّريّة" ونظرية الإنشاء النحويّ للكون [إن ك] للشريف[45] بما فصّله من مستويات وما أبرزه من سيطرة موضع الإنشاء على موضع الإحالة في كلّ مستوى تساعداننا على تحقيق بعض الخطوات في مسار التعمّق والاستدلال على تجذّر الذاتيّة في البنية المجرّدة.

فافترضت نظريّة لانقاكار أنّ مجال البنى الدلاليّة هو مجال العرفان. واعتبر أنّ الدلالة هي التصوّر وأنّ البنية التصوّريّة بنية "**مؤرّضة**"grounded . فـ"**الأرضيّة**" عنده "**تدخل في معنى كلّ عبارة**" وكلّ تركيب وكلّ

إسناد، وتقوّم عمليّة التصوّر. فهي تمثّل الفضاء الذي يبني الحدث ويبنى فيه. فالعرفان عند لانقاكير هو عرفان "**مؤرّض**" . والأرضيّة ممثّلة في البنية التصوّريّة وتشتغل بصورة صريحة أو ضمنيّة.

ولاشكّ أنّ اعتبار المعنى هو عمليّة التصوّر في ذاتها يقتضي أن نعتبر الذات المتصوّرة حاضرة بالضرورة في كلّ ما يتمّ تصوّره وبناؤه. فهذه الخاصيّة تعدّ في نظريّة النحو العرفانيّ من المسلّمات . ويبقى تصنيف كيفيّة الحضور. فلم تعد الموضوعيّة ممثّلة لغياب الذات المتكلّمة والذاتيّة حضورا لها كما بدأ التمييز في بدايات البحث في هذه العلاقة. بل استحال البحث فيها بحثا في كيفيّة الحضور. وهذا ما جعل لانقاكار يعتمد مفاهيم محدّدة لموقع الذات من فضاء الخطاب من صنف "**في المشهد الأماميّ**" و"**في المشهد الخلفيّ**" و "**صريح**" و"**ضمنيّ**". ويكون الوعي هو المقياس الذي نقيس به درجة الذاتية أو الموضوعية.

وافترضت نظريّة الإنشاء النحويّ للكون التي وضعها اللسانيّ التونسيّ محمد صلاح الدين الشريف[46] أنّ البنية الإعرابيّة تقوم على موضع إنشائيّ للعمل اللغويّ يتصدّر موضع الإحالة ويعمل فيه. فتكتنز الاعتقادات وتتكهّن بالمقامات الممكنة باعتبارها بنية تاريخيّة تختزن التجارب الاجتماعيّة على صورة مجرّدة.

فنظريّة لانقاكير تدعم تجذّر الذاتية في البنية التصوّريّة المقوليّة ونظريّة الشريف تدعم تجذّرها في البنية الإعرابيّة المجرّدة من اللفظ. وهما منوالان يفسّران لنا الحركة المسيّرة لجدليّة العلاقة بين الذاتيّة والموضوعيّة وبهما نفهم سرّ سيطرة الذاتيّة على الأقوال الخالية من الإشارة المقاميّة في المستوى المعجّم. كما نتبيّن ما يمكّننا في مستوى التأويل الدلاليّ من أن نراوح بين الحكم على الخطاب بالذاتيّ أو بالموضوعيّ. إذ يصبح المقياس هو درجة الوعي بسيطرة الذات على الأقوال بتعميق الرؤية وتجاوز الملفوظ من الخطاب.

فيتجلّى لنا أنّ دلالة الذاتية حاصلة بفعل تعامل بين البنية اللفظية والبنية المجرّدة يلعب اللفظ فيه دور التبئير فحتى حين تضعف في مستوى الأقوال المنجزة تبقى قوية في مستوى البنية المجرّدة. وقد استعار لانقاكير لتبسيط هذا التفسير الركح المسرحي الممتدّ الذي يسلّط فيه الضوء على جانب منه فقط ويبقى سائر الفضاء الركحي مغيّبا بفعل الظلمة وغياب الضوء. وهو ما يفسّر كون الدلالة الذاتية كثيرا ما تكون غير صريحة وغير مباشرة وقائمة على التأويل. فتظلّ الذات في الخفاء في خلفيّة المشهد. ويغيب الوعي بها. وتحدّث الشريف عن سيطرة مطلقة لموضع الإنشاء على موضع الإحالة إعرابيّا فتكون الإحالة دائما في موضع المعمول. ويعتبر الموضع الإنشائيّ موضعا يندر تعجيمه خلافا لموضع الإحالة ممّا يجعله مضمرا لا يجوز معه إظهار. فضعف الذاتية في مستوى البنية اللفظيّة لا يعني مطلقا ضعفها في مستوى البنية المجرّدة. فقد يغيب التعبير عن حضور الذات باللفظ ولكنّ الذات لا تغيب مطلقا من البنية باعتبارها المنشئة لها.

واعتمادا على هاتين النظريتين بالذات تجلّت لنا إمكانيّة تقديم تصوّر لدرجات في تمثيل الذات داخل البنية تتفاوت بتفاوت درجات التجريد. فيحضر المتكلّم في البنى المجرّدة من اللفظ وهي البنية المقوليّة المجرّدة والبنية الإعرابيّة المجرّدة ثمّ في البنية المعجّمة على صور مختلفة تمكّننا من استخلاص مراتب في التجريد تقوم على التمييز بين "المتكلّم المقاميّ" و "المتكلّم المحتمل" و "المتكلّم الواضع" في نظريّة الإنشاء النحويّ للكون [إن ك]، والتمييز بين "المتكلّم" و "المتصوّر" في مقترح لانقاكير.

فميّزنا بين ثلاثة أشكال من الحضور تتفاوت في درجة التجريد "**حضور المتكلّم**" المنجز المقامي، "**حضور المتصوّر**" للبنية المفهوميّة، و"**حضور المنشئ**" للبنية الإعرابيّة. وهو ما يؤسّس تأسيسا مباشرا لسيطرة الذاتيّة.فهو حضور يتجلّى في ما يعتبر المستويات الأساسيّة في أيّ تصوّر ممكن للنظام اللغويّ: وهي المستوى المقوليّ، المستوى الإعربيّ والمستوى اللفظيّ المعجّم. وهي مستويات متفاوتة في التجريد ومؤسّسة للبنى المكوّنة للجملة وللعلامة اللغويّة في آن حسب النظريّتين المعتمدتين.

ويبدو من الضروريّ أن نقدّم هاتين النظريتين تقديما مختصرا دون شكّ، ولكن أيضا تقديما موظّفا حسب ما تستلزمه الإشكاليّة التي نطرحها في هذا البحث.

4)- 3 الأسس النظريّة الداعمة لتجذّر الذاتيّة في النظام اللغويّ

اعتمدنا نظريتين لسانيتين هما نظرية لانقاكير في النحو العرفانيّ ونظرية الشريف في "الإنشاء النحويّ للكون". لماذا اختيار هاتين النظريّتين بالذات؟ لسبب بسيط وهو ما بدا لنا بينهما من تشابه وتقارب[47] رغم ما بينهما من اختلافات جوهريّة. فقد سعت نظريّة النحو العرفانيّ للانقاكار للاستدلال على أنّ النحوَ عرفانيٌّ وسعت نظريّة الإنشاء النحويّ للكون لمحمد صلاح الدين الشريف للاستدلال على أنّ العرفان نحويّ. ونقاط التشابه بين نظريّتين مختلفتين من شأنها أن تدعم ما يبدو لنا من جدليّة بين النحو والعرفان. فليس لنا أن نتكلّم عن عرفان نحويّ إلاّ بعد أن نكون قد سلّمنا بأنّ النحو عرفانيّ. ونحن نفترض أنّ النظريّة التي تدّعي أنّها تقدّم شكلنة للدلالة على قدر عال من التجريد يجب أن تكون قادرة على استيعاب كلّ النظريّات الدلاليّة على اختلافها.

ويتجلّى الشبه بين النظريتين في مستويين: مستوى يخصّ بعض الأسس والمبادئ العامّة التي تكشف عن اشتراك في الخلفيّات النظريّة الفلسفيّة. ومستوى يخصّ مقوّمات تصوّر البناء الداخليّ للحركة الدلاليّة. فهما يلتقيان في العديد من النقاط التي استغللناها لدراسة الذاتيّة كما سنبرز.

ويتمثّل الاختلاف الجوهريّ بين النظريّتين في تصوّر كيفيّة ارتباط النحو والأشكال الإعرابيّة بالميكانيزم العرفاني وبالمستوى المقوليّ المجرّد. فلئن عدّ الإعراب مهماّ في كشف الخصائص الشكليّة للغة مّا، فإنّه حسب أغلب النظريّات لا يخبرنا شيئا عن كيفيّة إنشائها أو كيفيّة استعمالها. وهو ما يجعل أغلبَ النظريات تتوجّه نحو اعتبار العرفان متصلا ببنية دلاليّة مستقلّة عن النحو وأنّ العلاقة لا تعدو أن تكون علاقة ربط وملاءمة وانسجام. غير أنّ لانقاكاربيّن أنّ للنحو سمة دلاليّة وأنّ سمته التجريديّة والرمزيّة تستلزم تصوّرات دلاليّة. فلا يمكن أن نصف النحو من دون المبادئ الصريحة لخصائص البنى التصوّريّة التي اندمج فيها. ممّا يجعل نظريّته تؤسّس لنحو عرفانيّ[48].

أمّا العرفان النحويّ فإنّنا نجد أسسه وملامحه في نظريّة الإنشاء النحويّ للكون. فهي نظريّة تجعل للنحو بمفهومه الواسع وللبنية الإعرابية المجرّدة خاصّة دورا أساسيّا في بناء النسق العرفانيّ المتقوّم بإنشاء العلاقة التي تمثّل عنده "عمليّة ذهنيّة". فاللغة في هذه النظريّة هي "**وظيفة الدماغ العليا**"، **فـ "لا يمكن لشيء من اللغة أن يكون خارجا عنها**"[49].والمنطق اللغويّ هو المنطق الطبيعيّ. والنظام اللغويّ لا يستعير الأسس المنطقيّة من غيره. بل هو مصدرها باعتباره ممثّلا للمنطق الطبيعيّ. وينجرّ عن هذا اعتبارِ أنّ كلّ العلاقات الدلاليّةَ علاقات نحويّة يولّدها النظام اللغويّ وأنّ جميع أنواع الدلالات–بما في ذلك الدلالات المنطقيّة والدلالات التصوّريّة– دلالات داخلة في اللغة ناتجة عن حركيّة البنى النحويّة وتفاعلها أو "**تشارطها**". فلا وجود لـ"**دلالة خارجة من اللغة وليس لها إلاّ وجود ذهنيّ**"[50]

فلا يمكن بحسب هذا التصوّر أن تنجز أيّ عمليّة ذهنيّة خارج البنية النحويّة. وقد استلزم هذا الاعتبار التعمّق في تجريد هذه البنى من اللفظ وفي تركيز مستوى من هذه المستويات المجرّدة منقطع عن المستوى الصوتيّ هو المستوى الإعرابيّ المجرّد المتقوّم بالتشارط والذي يؤطّر ويستوعب حركة الفكر كما يؤطّر ويستوعب كلّ أشكال التواصل غير اللفظيّة.

فالحقائق اللغويّة حسب الشريف[51] "**متّصلة بمعرفة اجتماعيّة تتوارث عبر الزمان بفضل**" الأبنية النحويّة المجرّدة والدليل على ذلك أنّه بدون اللغة "**ما كان يمكن لذاكرة أن تنقل مخزونها المعرفيّ إلى ذاكرة أخرى**

بين الأقوام وعبر الآلاف المؤلّفة من السنين". "الأبنية اللغويّة تعكس على صورة جدليّة مّا خصائص الفكر الإنسانيّ وتتضمّن التواصل في أبنيتها المجرّدة عن طريق العلامات الدالّة على المتكلّم بالخصوص"[52].

وبما أنّ المجال لا يتّسع لتقديم مفصّل للنظريّتين[53]، فقد رأينا أن نعتني أساسا بتصوّر كل نظريّة للنظام اللغويّ المقترح لنتبيّن موقع الذات في مستويات كلّ نظام منهما فنبرز كيفيّة حضورها في هذه المستويات المجرّدة.

4)-3-1نقاط التشابه بين النظريتين

يتجلّى الاختلاف الجوهريّ بين النظريّتين في آليّات الربط بين مستويات هذا النظام وفي تصوّر كيفيّة التعامل والتعالق بينها. وقد سعت كلّ نظريّة منهما إلى تقديم تصوّر نظريّ ينجح في معالجة الإشكاليّات التي واجهت النظريّات اللسانيّة السابقة لهما. وهو ما يمثّل نقاط التقاء واشتراك بينهما.

أوّلها أنّهما نظريّتان نحويّتان دلاليّتان فكلاهما يبحث في ميكانيزمات إنتاج الدلالة.

كلاهما يعتبر أنّ البنية النحويّة بنية دلاليّة رغم اختلافهما في تصوّر كيفيّة التلازم بيم البنية والدلالة.

كلاهما يعتبر أنّ الدلالة بناء ذهنيّ داخليّ يكون فيها لكيفيّة البناء دور أساسيّ. فهذه تمثّل نقطة التقاء هامّة رغم أنّ البناء مع لانقاكار هو بناء دلالي مقوليّ مجرّد غير إعرابيّ والبناء مع الشريف هو بناء دلاليّ مقوليّ إعرابيّ.

كلاهما وضع تصوّرا لنظام يستوعب الدلالة اللسانيّة والدلالة التداوليّة الخارج – لسانيّة و لا يميّز فيه بين المعرفة اللسانيّة والمعرفة الخارج–لسانيّة[54]. ويعتبران أنّ الحدود الموضوعة بين نوعي الدلالة هي حدود مصطنعة غير نظاميّة، من وضع اللسانيين.

كلا النظريّتين تقدم تصوّرا للنظام اللغويّ يستوعب المقام على صورة نمطيّة مجرّدة رغم الاختلاف في كيفيّة هذا الاستعاب. فلانقاكار يعتبر **أنّ "البناء الذهنيّ للغة هو في حدّ ذاته مؤرّض grounded في التفاعل الاجتماعيّ والسلوك الثقافيّ"**[55].

ويذهب الشريفإلى أنّ البنى النحويّة المجرّدة ترشح بالتجارب الإنسانيّة المغرقة في القدم وتسجّلها على صور مجرّدة ثمّ تعيد إنتاجها حسب تعامل وحساب مخصوصين. فالأساس اللغويّ "**أساس صنعه التاريخ**" وسجّلته اللغة بأبنيتها المجرّدة. وهذه الخاصيّة التاريخيّة القائمة على التجربة الإنسانيّة هي التي تفسّرّ اعتبار أنّه للبنى النحويّة المجرّدة القدرة على "**التكهّن بخصائص التواصل**"[56]. ولذلك فإنّ الأساس اللغويّ عنده يقوم على خاصيّة تاريخية وخاصيّة اجتماعيّة. وهذا ما يفسّر أنّ الإنسان في هذه التجارب لا يسجّل حضوره باعتباره فردا بل باعتباره "**اجتماعا**"[57]

كلا النظريّتين قدّم تصوّرا لحضور الذات داخل النظام ممّا يجعل النظام اللغويّ متقوّما بالذاتيّة. فيلتقيان في تمثّل لحضور الذات المتكلّمة بدرجات متفاوتة في التجريد داخل النظام والإقرار بسيطرتها على البنى. فسيطر "المتصوّر" في نظريّة النحو العرفانيّ على "البنية التصوّريّة" باعتباره باني التصوّرات وسيطر "المنشئ" في نظريّة [إن ك] على البنية الحدثيّة المقوليّة باعتباره المنشئ للحدث. وقد نجح كلاهما حسب رأينا في الاستدلال على أنّ اللغة تتبع من الذات وإليها تعود.

كلاهما يقدّم تصوّرا للدلالة ناتجا عن حركيّة داخليّة وتفاعل بين مستويات مجرّدة ممّا يجعلهما مشتركين في وسم الدلالة بالحركيّة والديناميكيّة وإن اختلفا في تحديد أسبابها. فالديناميكية مع لانقاكار ناجمة من "التكرار العرفاني" ومع الشريف هي ناجمة من "التكرار البنيويّ" الذي يدعم خاصيّة الدوران في النظام اللغويّ.

كلاهما يقدّم تصوّرا موحّدا لحركة نظاميّة تفسّر البنية الدلاليّة للجملة و المركبات و للعلامة اللغويّة على حدّ سواء. فتوحيد آليّات التفسير مهمّ جدّا حسب رأينا في إثبات القوّة التفسيريّة لأيّ نظريّة.

4)-3-2 نقاط الاختلاف بين النظريتين:

أمّا الاختلافات التي تساهم في التمييز بين نحو عرفانيّ وعرفان نحويّ فنختصرها في مجموعة من النقاط ونبرز دورها في اختلاف تصوّر كلّ نظريّة للنظام اللغويّ: أوّلها اختلاف في مفهوم النحو وفي تمثّل حدود دوره في مستويات النظام. وثانيها اختلاف في تحديد مفهوم الدلالة. أمّا الاختلاف الثالث فيتجلّى في موقع المقولات وفي كيفيّة تعاملها مع مستويات النظام. ويبرز الاختلاف الرابع في التفاوت في تصوّر درجات في تجريد مستويات النظام.

- النظام اللغويّ في منوال [إن ك]

يتميّزَ النظام مع نظرية الإنشاء النحويّ للكون [إن ك] بالشموليّة والتفصيل: شموليّة يقتضيها مفهوم النحو عنده الذي يشمل كلّ مكوّنات اللغة من معجم واشتقاق وتصريف وإعراب ومقولات، فالنحو عنده "**شكل دلاليّ منظّم**" **وليس مجرّد رابط بين المعاني والأصوات**"[58] وتفصيل يقتضيه اعتبارُ الدلالة نتاجا لتفاعل كلّ هذه المكوّنات في بنى مسترسلة تتفاوت في درجة التجريد يرتبط بعضها ببعض ارتباطا تلازميّا بحكم تقوّم الاسترسال عنده بعلاقتي التشارط والتواجد. فيقدّم الشريف تصوّرا لا نكاد نقف فيه على تمييز بين النظام اللغويّ والنظام النحويّ. بل وبين النظام النحويّ والبنى الإعرابيّة باعتبار أنّ النظام النحويّ يمثّل انتظاما لمستويات كلّها إعرابيّة – بما في ذلك المستوى المقوليّ– ولكنّها مختلفة من حيث درجة التجريد.

وهو ما جعل الشريف في تحديده للمستويات لا يتحدّث عن "بنية صوتيّة" و"بنية صوتميّة" و"بنية تصريفيّة" و"بنية اشتقاقيّة" و"بنية معجميّة"... كما تعوّدنا بل يعتبرها جميعا بنى إعرابيّة. فيتحدّث عن "بنية إعرابيّة صوتيّة" و"بنية إعرابيّة صوتميّة" و"بنية إعرابيّة تصريفيّة". وهي بنى في علاقة استرسال وتشارط لانهائيّة. "**فلا وجود لمستوى تصريفيّ عندنا خارج الجملة**"[59]. وليست نظريّة التصريف إلاّ "**نظريّة لتصرّف العناصر المعجميّة ولتغيّرها بحسب موقعها في البنية الإعرابيّة**"[60]. أمّا الاشتقاق فهو "**نظريّة لتكوّن العناصر المعجميّة**"[61]. ورغم إمكانيّة تعامله المباشر مع المقولات، فإنّه يتحقق في بنى تصريفيّة لا تتحقق إلاّ في بنية إعرابيّة. فالتلازم بين الاشتقاق والتصريف من جهة وبين الاشتقاق والمعجم من جهة أخرى يؤدّي بالضرورة بحكم علاقة التعدية la transitivité إلى تعالق بين المعجم والإعراب. **فـ"المعجم يقتضي الاشتقاق وأبنيته**"[62] و"**الاشتقاق هو آلة تعجيم العناصر المقوليّة**"[63].

وقد بيّن الشريف على امتداد بحثه أنّ الأبنية الإعرابيّة أبنية دلاليّة وأنّ دور كلّ مستوى من مستوياتها يتجلّى في غيره وليس في ذاته. فالتصريف يخدم الاشتقاق ويحدّد موقعه من الإعراب، والإعراب يوفّر المواضع والمحلاّت للمقولات، والمقولات لا تتحقق إلاّ في البنية الإعرابيّة المجرّدة والبنية الإعرابيّة الاشتقاقيّة والبنية الإعرابيّة التصريفيّة.

- **النظام اللغويّ في نظرية لانقاكير في النحو العرفانيّ:**

مع النحو العرفانيّ [64] يقوم النظام اللغويّ على مكوّنات محدودة هي:

1- البنى الدلاليّة والفونولوجيّة والرمزيّة.
2- تجريد البنى المحتملة
3- مقْولة العلاقات بين البنى المحتملة.

فاللغة عنده تقوم على ثلاث بنى[65]: البنية الدلاليّة والبنية الفونولوجيّة والبنية الرمزيّة، بينها علاقة استرساليّة. أمّا البنية الدلاليّة فهي ممثّلة في البنية التصوّريّة. وأمّا البنية الفونولوجيّة فإنّها تشمل بالإضافة إلى " الأصوات وما يسمع""الحركات والإيماءاتgesture. ولا تتميّز البنى الرمزيّة حسب لانقاكار[66] عن غيرها من البنى بل تتمثّل في ترميز البنى الدلاليّة بواسطة البنى الصوتميّة: [[PHON]/[SEM]]والتمثيلات الكتابيّة orthographic representations"، باعتبار أنّ لها دورا رمزيّا واضحا.

واعتباره أنّ "المعنى اللسانيّ" " كامن في التصوّر"، وأنّ الدلالة هي عمليّة التصوّر قد جعله يولي الأهميّة القصوى لــ"وصف البنية التصوّريّة"ولاكتشاف الانتظام التصوّري الداخليّ.

فالعمليّة عنده تتمثّل في "**إحداث تجميعات رمزيّة بين البنى التصوّريّة والبنى الفونولوجيّة**"[67].فيعتمد تصوّرا رمزيّا للنحو أساسه "**أنّ لكلّ عنصر نحويّ نوعا من القيمة الدلاليّة**"مستمدّا من البنية التصوّريّة باعتبارها بنية مقوليّة.

وتتمثّل الخاصيّة المحوريّة في النحو العرفانيّ في اعتبار الوحدات النحويّة رمزيّة داخليّا intrinsically symbolic. "**فاللفاظم النحويّة والمقولات النحويّة والمركّبات النحويّة تأخذ جميعا شكل وحدات رمزيّة.**" وللوحدةعنده "**معنى تقنيّ يعيّن به على صورة شاملة البنية**". وهي شموليّة عدّها لانقاكار مميّزة لما يتّسم به النظام اللغويّ من اقتصاد واختزال واعتبر أنّ "**هذا كلّ ما نحتاجه في وصف البنى النحويّة.**"[68]. فلا نحتاج في الوصف الدلاليّ للنحو إلى تدقيق المكوّنات الداخليّة لهذه الوحدة. بل يقتصر فيها على تحديد البنية التصوّريّة. وهو تصوّر يحصر الدلالة في "البنية التصوّريّة" باعتبارها بنية مقوليّة. ولا يعطي للإعراب والتصريف والاشتقاق أيّ دور فيها. باعتبارها بنية على درجة عالية من التجريد تفسّر جميع مظاهر التشكّل اللفظيّ.

فيعتني لانقاكار بتحديد مكوّنات عمليّة التصوّر باعتبارها تشمل كلّ وجوه التجربة الذهنيّة، كما يحرص على تفصيل مراحل هذه العمليّة التي تكشف القدرات الذهنيّة التي تمثّل أساس البنية اللسانيّة. والمعنى اللسانيّ عنده[69] يشمل كلا من المضمون التصوّريّ والبناء المفروض في هذا المضمون فسمّى هذا البناء بــ"البنويّ" Construal،وهو مفهوم يمثّل "مسار التصوّر" وكيفيّة بناء التصوّرات باعتباره "**يحيل على قدراتنا الجليّة على تصوّر وتصوير الوضعيّة نفسها بطرق مختلفة. فما إن نشفّر المضمون لسانيّا حتى نكون قد فرضنا بنويّا مّا certain construal**"[70].ويقوم البنويّ على مكوّنين تصوّريين هما "السيّار" trajectorو"الهدف" Landmark. وحصر أبعاده في :

- التخصيص specificity
- التبئير focusing
- البروز prominence
- والمنظور perspective

فانتظام "السيّار" و"الهدف" يمثّل حركة لــ"بنية داخليّة" قابلة لأن تشفر لسانيّا بتراكيب مختلفة تفسّر اختلافاتها بخصائص هذا الانتظام. **ويعدّ "السيّار"**[71]الطرف الأهمّ في العلاقة الدلاليّة وهوtrajectorوهو

عنصر متحرّك في الفضاء نحو طرف ثانأقلّ أهميّة يسمّيه "الهدف"Landmark.وهو ما يجعل التصوّر قائما على الديناميكيّة والصوريّة .

واستعار لهذا الانتظام التصوّري المشهد المسرحي بكلّ خصائصه. فعمليّة "التصوّر" تقتضي "متصوِّرا" و"متصوَّرا" ليسا سوى ممثّلين لـــ"الذات" و"الموضوع". و التصوّر هو رؤية للمشهد والمنظور هو تنظيم لهذه الرؤيةويتقوّم بالبعد الفضائيّ فنميّز فيه في الركح المسرحيّ بين ما يكون في الأمام ظاهر بارزا onstageوما يكون في الخلف offstage غائبا حاضرا اعتمادا على أبعاد البنويّ. فيكون لـــ"السيّار" الدور الرئيسيّ، في المشهد المسرحيّ ولـــ"الهدف" الدور الثانويّ.أمّا توزيع هذه الأدوار فيضطلع به المتصوّر الذي اعتمادا على مفهوم الإيجاهله أن يكون في الخلف أو في الأمام.

فيميّز في بناء التصوّرات بين "البنويّ الذاتيّ" و"البنويّ الموضوعيّ" ويؤكّد سيطرة الذاتيّ على الموضوعيّ إمّا بصورة مباشرة إن كان في الأمام، وإمّا بصورة غير مباشرة إن كان في الخلف. ويصبح ظهوره أو خفاؤه رهين التبئير. واعتبر أنّ العلاقة بين البنويّين علاقة قائمة على التناظر أو اللاتناظر وهو ما يميّز عنده الذاتيّة والموضوعيّة. غير أنّ هذا التمييز لا يقضي مطلقا على سيطرة المتصوّر على كلّ أنواع البناء وعلى سيطرة البنويّ الذاتيّ على البنويّ الموضوعيّ في جميع الحالات سواء أكان ذلك ظاهرا أم غير ظاهر.

4) 4- حضور الذات في البنية التصوّريّة:

- المتكلّم المتصوِّر

يتناول لانقاكار إشكاليّة التمييز بين الذاتيّة والموضوعيّة اعتمادا على التمييز بين "دور المتصوّر و"موضوع التصوّر". كما يعتبرالمقابلة الأولى - بين الذاتيّة والموضوعيّة- ناجمة من المقابلة الثانية - بين "أدوار المتصوّر" و"موضوع التصوّر"-. ذلك أنّه يرى أنّ:

> " **دور المتصوّر يكون على درجة عالية من الذاتيّة عندما لا يتجلّى بأيّ شكل من الأشكال باعتباره جزءا من التصوّر- the conceptualization، أي حينما يفقد وعيه بذاته وبدوره باعتباره هو المتصوّر. و"خلافا لذلك بقدر ما تكون الإحالة على المتصوّر غائبة في التصوّر يعدّ بناء مضمونه موضوعيّا".**

وهو ما يؤكّد عند لانقاكار[72]

> "**أنّ المركّبات جميعا "ذات أصول ذاتيّة صرف"، "من حيث كونها مفروضة خارجيّا باعتبارها قسما من نسق التصوّر في حدّ ذاته".**

وهذا التمييز ينبّهنا إلى أهميّة الفصل في عمليّة التصوّر بين دور المتصوّر في بناء التصوّر، وهو دور لا يكون إلاّ ذاتيّا، ودور المتكلّم المنجز الذي يستعمل الألفاظ والتراكيب بدرجات متفاوتة من الوعي بكونه المتصوّر الفعليّ للمضامين لا مجرّد مستعمل لا دور له. إذ أنّ المتكلّم كثيرا ما ينسى أنّه المتصوّر وأنّ المفهوم ليس سوى مفعول له يحدّد حسب فهمه الذاتيّ له فيعتبر أنّه يستعمل مفاهيم عامّة مشتركة ليس له فيها أيّ دور.

ولذلك نجد لانقاكار في تمييزه بين الذاتيّ والموضوعيّ يحكّم مقياسا نفسيّا يتمثّل في "الوعي" الكلّيّ والجزئيّ و"اللاّوعي". فيبرز أنّ العلاقة بين الذاتي والموضوعي في التصوّر تكمن في

> "**غياب الوعي لدى المتصوّر بدوره في الوضع فيمتصّ مفهوم "ب" "س"(المتصوِّر) امتصاصا كليّا. ويفقد "س" كلّ وعي بنفسه وكلّ وعي بدوره الفاعل في نسق التصوّر.**

ولا يدرك سوى المتصوَّر "ك" منفصلا عنه. فيكون دور "س" "ذاتيّا" بأتمّ معنى الكلمة. في حين يكون دور "ك" "موضوعيّا"[73].

فالتقابل بين الذاتيّة والموضوعيّة تبرز التمايز بين دور المتصوّر وموضوع التصوّر، رغم تداخل هذه الأدوار إجرائيّا. وهو تصوّر نعتبره على قدر كبير من الأهميّة. إذ أنّه يمثّل رؤية متميّزة نجحت في إبراز علاقة التقابل بين "الذاتيّ" و"الموضوعيّ" دون أن تجعل حضور أحدها يلغي بالضرورة حضور الآخر. فكلّ بناء لغويّ يتأسّس في الآن نفسه من "بنويّ ذاتيّ" و"بنويّ موضوعيّ" يتمايزان فقط في درجة البروز والجلاء ولا يتحدّدان إلاّ باعتبار تأثير البنى المجرّدة وتحكّمها فيما نستعمله من ألفاظ وعبارات.

فلئن بيّن لانقاكار أنّ عمليّة التصوّر في مستواها التجريديّ تتقوّم بـــ"بنويّ ذاتيّ" باعتبار دور المتصوّر في هذا البناء، فإنّ التحوّل إلى مستوى اللفظ والعبارة يبرز ضربا من التقابل بين شكلين من البنويّ "البنويّ الذاتيّ" و"البنويّ الموضوعيّ" وهو تقابل محكوم بمقياس "اللاتناظر" بين النوعين من "البنويّ".

"فتعكس المقابلة بين البنويّ الذاتيّ والبنويّ الموضوعيّ حينئذ اللاتناظر البيّنinherent asymmetry بين الإدراك الفرديّ a perceiving individual والمكوّن المدركthe entity perceived . ويكون اللاتناظر في أقصاه حين يكون المدرك منهمكا في التجربة الإدراكيّة إلى درجة فقدان كلّ وعي بذاته وحين يكون الشيء المدرك محدّدا بدقة جيّدة.فيتميّز تميّزا تامّا عن المدرك. وفي هذه الحالة من اللاتناظر الأقصى يكون المكوّن المبنيّ ذاتيّا ضمنيّا وغير بارز ويظلّ في الخفاء أو في خلفيّة المشهد. بينما يكون المكوّن المبنيّ موضوعيّا بارزا ومصرّحا به باعتباره محلّ تبئير وموضوعا في المشهد الأماميّ onstage"[74].

فيستحيل المتكلّم المقاميّ متصوّرا مجرّدا وتتحوّل الذاتيّة من مجرّد ظاهرة استعماليّة تتقوّم باستعمال عبارات أو تراكيب محدّدة إلى ظاهرة ممثّلة نظاميّا متجذّرة في أكثر البنى تجريدا في النظام اللغويّ. وهذا التحوّل يمثّل مظهرا مهمّا من مظاهر التطوّر في التناول اللسانيّ ينبّه إلى تحكّم النظام اللغويّ في هذه الظاهرة التي تتجلّى في الخطاب. كما يؤكّد أنّ حقيقة الظاهرة لا نجدها في الخطاب وفي مقوّمات التخاطب ولا في الأقوال والتلفّظ. بل لا بدّ أن نبحث عنها في الأعماق.

4) 5- حضور الذات -المتكلّم المنشئ- في البنية الإعرابيّة المجرّدة

4) 5-1- تحديد البنية الإعرابيّة:

للبنية الإعرابيّة في الوصف النحويّ العربيّ قديما وحديثا أهميّة قصوى. فهي بنية محوريّة تدور في فلكها كلّ العلاقات النحويّة على اختلاف مجالاتها. فهي بنية مسيطرة على تصوّر الباحثين لنظام اللسان العربيّ سيطرة جعلت النظرية العربيّة النحوية نظريّة في الإعراب والعامل. وقد صار من المسلّم به أنّها بنية تتشكّل في أشكال متفاوتة من حيث درجة التجريد. فلا خلاف في أنّ الإعراب معنى قد يتجلّى في اللفظ وقد يتجرّد من اللفظ[75]. وهو ما جعلنا نفترض أنّ البنية النحويّة المجرّدة من اللفظ بنية دلاليّة تستمدّ دلالتها من البنية المقوليّة[76]. فالبنية الإعربيّة التي تتقوّم بالمواضع الإعرابيّة المجرّدة عند نحاتنا بنية تعرب وتبين عن الدلالة التي يريدها المتكلّم. والبنية مجموعة علاقات تقتضي من يؤسّسها ويختارها ليتجلّى وجودها.

تتقوّم البنية الإعرابيّة بمفهوم إعرابيّ مسيطر هو مفهوم العمل. وهو مفهوم يقتضي عاملا منشئا لهذا العمل ومعمولا ممثّلا له. ولذلك فإنّ البنية الإعرابيّة هي بنية علائقيّة تربط بين مواضع. ولن نقف هنا على مواضع الوظائف النحويّة التي يمثّلها الفعل والفاعل والمفعول بل نقف عند مستوى علائقيّ أكثر تجريدا يتمثّل

في التعالق بين موضع العامل وموضع المعمول. فيتجلّى في الموضع العامل دور الذات المنشئة للعلاقة الإعرابيّة وتسلّطها علائقيّا من خلال سيطرتها على ما تعمل فيه. فليس للعامل أن يحقّق وجوده إلاّ من خلال وجود معمولاته. ولذلك اعتبر الشريف أنّ البنية الإعرابيّة هي بنية تجمع بين مجالين:

"**مجال لمنبع العمل [إ E ف]** " و"**مجال لمورد العمل[فا مف1 مف2]** "[77].

فمن العامل ينبع العمل ويسير نحو "**مورد**" يقع به هذا العمل[78]. فيتشكّل موضعان: موضع للإنشاء يمثّل "**مجال العامل**"، وموضع للإحالة يمثّل مجال المعمول.

فربط ربطا وثيقا "الحركة العامليّة" بالإنشاء أي "**بذات الواضع المتكلّم المطلق**". وهو الربط الذي خوّل لصاحب نظريّة [إن ك] أن يفترض

"**أنّ توزيع مجال العامل والمعمول يعكس إعرابيّا نوع العلاقة النحويّة بين اعتقاد الواضع وما يتصوّره عن حقيقة الكون الخارجيّ . فالإنسان يقدّم نفسه نحويّا عاملا يعمل في الكون. وهو في حقيقته يُعمِل ما ينشئه اعتقاده عن الكون في ما يتصوّره فيه**"[79]

ممّا يجعل الذات ممثّلة في اللغة وحاضرة في نظامها. وهو أمر قد حدس به نحاتنا القدامى فيما أكّده ابن جنيّ من أنّ "العامل الحقيقيّ هو المتكلّم" ونقله عنه غيره من النحويين"[80]. وفيما أجمع عليه النحاة من أنّ الحروف تحمل دلالة أفعال مسندة إلى ضمير المتكلّم. فِـ"إنّ" هي أؤكّد، و"ليت" هي أتمنّى،..الخ. فذهبوا إلى أنّ حضور الحروف يصرّح بحضور المتكلّم في الجملة ويعبّر عن اعتقاده. وهو ما يثير فينا التساؤل حول كيفيّة تمثّل تحكّم الذات المتكلّمة في البنية النحويّة ويشرّع لتصوّر نظريّ يقوم على افتراض حضور المتكلّم في البنية النحويّة على شكل مّا.

وقد استغلّت نظريّة الإنشاء النحويّ للكون [إن ك] هذا التصوّر لتفترض أنّ البنية الإعرابيّة المجرّدة هي بنية علائقيّة قائمة على طرفين هما الحدث الإنشائيّ والحدث الإحاليّ بينهما علاقة عامليّة. فخصّصت بذلك موضعا إعرابيّا للمتكلّم المنشئ للقول في البنية الإعرابيّة المجرّدة. فاقترحت تصوّرا للبنية الإعرابيّة قائما على تخصيص موضع في الصدارة للاعتقاد وبيان سيطرته على الحدث الإنشائيّ سيطرة عامليّة. كما أقرّ صاحب النظريّة بأنّ مجرّد تكوّن العلاقة التي تؤسّس البنية يدلّ على وجود منشئ لها. فبما أنّ نظريّة [إن ك] تقوم على مبدإ كون "**اللغة وظيفة الدماغ العليا** "، وهو مبدأ يقتضي أنّه "**لا يمكن لشيء من اللغة أن يكون خارجا عنها**"، فإنّه قد كان من الضروريّ أن تسعى هذه النظريّة إلى أن تثبت أنّ ماعدّ في النظريّات اللسانيّة العرفانيّة خارجا عن اللغة، إنّما هو منها، له في بناها موضع، وخاضع لمبدإ العمل الإعرابيّ. وهذا ما يفسّر عناية هذه النظريّة بـــ"الإنشاء" و"الاعتقاد" وبالمنشئ والحادث[81].

4) 5-2- سيطرة الإنشاء على موضع الإحالة في نظريّة[إن ك]

لدلالة الإنشاءخصوصيّة في تصوّر الشريف. وهي خصوصيّة تتجلّى في قوّة سمته التجريديّة.فـــ"**لفظ الإنشاء يعني عندنا "الحدث الإنشائيّ" وينبغي أن يفهم هذا أوّلا وقبل كلّ شيء في إطار التأويل الحدثيّ للعلاقة المؤسّسة لـــ [3] في المعجم المقوليّ**"[82]. فلا يقرن مباشرة بالإنجاز والإيقاع. بل هو يتعلّق بالمستوى المقوليّ المجرّد. فالإنشاء ليس عملا فرديّا معزولا باعتباره خارجا عن البنية النحويّة. بل هو مسجّل فيها منه يستمدّ الحدث الإحاليّ دلالته. فـــيمثّل "الإنشاء" في هذا التصوّر "**حقيقة نحويّة تتجسّد إعرابيّا وتجسّد أنّ العمل للمتكلّم**"[83]. فهو مفهوم "**يجاوز المقابلة بين الإنشاء والخبر في البلاغة أي في علم دراسة الأقوال المنجزة في المقام المعيّن .....هو إنشاء (الإنشاء والخبر)**"[84].

فهو حدث ممثّل في البنية النحويّة من خلال تجسّد البنية الإعرابيّة. فيعدّ المتكلّم في هذا المستوى هو المنشئ لها، ممّا يدلّ على أنّه ينشئ كلّ الأعمال، الإعرابيّة منها واللغويّة والتي عند التعجيم والتحقق قد تكون صريحة وقد تكون ضمنيّة. ذلك أنّ البنية اللغويّة تتميّز بقدرة عالية على جعل مكوّناتها بعضها ينخزل إلى بعض[85]. فقد بيّن الشريف أنّ الحدث الإنشائيّ، وإن كان له موضع في البنية النحويّة، فإنّه موضع لا يعجّم إلاّ في حالات قليلة ونادرة. ذلك أنّ كلّ تعجيم له يؤدّي إلى تقدير موضع آخر له عامل في موضع الإحالة باعتبار اقتضاء كلّ معمول لعامل.وهو ما يفسّر ذوبان الذات في الموضوع واضمحلاله فيه مما يوهم بغيابه.

فكلّ وسم معجميّ يقتضي واسما معجّما منشئا له. "**فلا مجال إذن لتكوين بنية إحاليّة من [3 ححا] الأولى لأنّ الإحالة كما بيّنا لا تكون إلاّ مفعولا للإنشاء.**"[86]. "وهذا ما يفسّر أنّه "**لا يمكنك أن تجد عند الإنجاز إحالة خالية من الإنشاء فأنت إذا أحلت إلى خارج اللغة كان عليك أن تنشئ الإحالة نفسها على درجات مختلفة.**"[87]. فكلّ استعمال للفظة أو عبارة إحاليّة تكون مقتضية لحدث إنشائيّ ولمنشئ محدث لها. ممّا يجعلها تحت سيطرة هذا المنشئ أي تحت سيطرة الذات في جميع حالاتها.

وقد بيّن الشريف[88] أنّ الحدث الإنشائيّ في هذا التصوّر النظريّ الذي قدّمه يعدّ "**أوّل بنية حدثيّة مقوليّة وجوديّة[3 ححا] تتولّد في المستوى المقوليّ الإعرابيّ**". فهو "**الحدث المؤسّس**"، الحدث الأوّل من حيث الوجود باعتبار أنّ حادثه هو الموجد للحدث الإحاليّ الذي يعدّ ثانيا.ذلك أنّالحدث الإنشائيّ عنده "**ممثّل للبدائيّة اللغويّة الضاربة في الأزل**"[89]. فـ[3 ححا] الأولى هي إنشائيّة لا إحاليّة.

فلئن كان حضور المتكلّم في المستويات المعجّمة يتجلّى باعتباره الذي يختار وينتقي المفردات والمركّبات، فإنّ حضوره في المستويات المغرقة في التجريد يتجلّى بمجرّد إقامة العلاقة. فـ"**متى وجدت علاقة نحويّة وجد المتكلّم**"[90]. فهو المنشئ للبنية الإعرابيّة المقوليّة المجرّدة[91].فقدأكّد الشريف[92] أنّ العلاقة التي تؤسّس البنية والتي اصطلح المناطقة على تسميتها "**عادة بالرابط أو العامل**" هي بالنسبة إليه "**حدث حادثه المتكلّم المطلق الذي هو الواضع المنشئ للغة**".

فهذا الحدث الذي يمثّل العلاقة "**لا مهرب من اعتباره "عمليّة ذهنيّة" إذا نظرنا إليه من زاوية الإنجاز الواقعيّ**"[93]. واعتباره "**عمليّة**" هو الذي يخوّل اعتباره "**حدثا**". وهو ما يجعل هذا "**المنشئ**" أو "**المتكلّم الواضع**" أو "**المتكلّم المطلق**" بالضرورة شكلا مجرّدا لـ"**المتكلّم الفرد**"، وممثّلا للذات المجرّدة المفارقة للفرد التي نسعى خلفها. فانبناء هذا التصوّر النظريّ على مفهوم الحدث يجعله تصوّرا متّصلا اتّصالا وثيقا بتجربة الذات في الكون ويصوّر الجدليّة القائمة على التأثير والتأثّر بين الأعمال الذهنيّة والتجارب الخارجيّة.

وتتجلّى سيطرة الحدث الإنشائيّ على الحدث الإحاليّ في البنية الإعرابيّة باعتبار الأوّل عاملا في الثاني والثاني معمولا للأوّل. كما تتجلّى هذه السيطرة أيضا في اعتبار [حا] فاعل الحدث الإنشائيّ "**ينسج الكون على شاكلته**"[94]. فيقرّ بسيطرته على الإحالة ويبرز سيطرة الذاتيّة على رؤيتنا للكون الخارجيّ. ونرى أنّها ذاتيّة تتجاوز ما أبرزناه مع اللسانيين الغربيين من سيطرة زاوية النظر الذاتيّة على رؤية الكون الخارجيّ إلى اعتبارها ذاتيّة تنشئ الكون وتخلقه. فلا وجود لشيء خارج الاعتقاد في وجوده. وليس للذات أن تخلق إلاّ شيئا "على شاكلتها" يشبهها ويمثّلها فيكون هو صورة منها وهي صورة منه. فالآخر هو صورة للأنا لأنّ لا وجود للآخر إلاّ من خلال الأنا.

فهذه الخلفيّة الفلسفيّة التي قامت عليها نظريّة [إن ك] والتي هي عند الكثير من الباحثين قائمة على التطرّف والمبالغة ومنكرة لوجود مستقلّ للكون الخارجيّ تجعل الذات منشئة للغة، واللغة منشئة للذهن، والذهن منشئا للكون وللإحالة. فكلّ شيء ينبع من الذات وإليها يعود. وتختزل البنية النحويّة هذا التشكّل

الوجودي حسب سيطرة عامليّة تتجلّى في سيطرة الاعتقاد على الإنشاء. فـ"**الإنشاء في مطلقه مفعول للاعتقاد**"[95]. والإنشاء عامل في الإحالة ومعمول للاعتقاد في آن.

فنتبيّن اعتمادا على التصور النظريّ الذي قدّمته نظرية الإنشاء النحويّ للكون [إن ك] أنّ لعبة التخفّي والتجلّي للذات لعبة يمكّننا منها النظام النحويّ في حدّ ذاته وتمثّل الحركة الأساسيّة في اشتغاله من خلال إبراز حركة المدّ والجزر بين الحدث الإنشائيّ والحدث الإحاليّ اعتمادا على مفهوم الانخزال بالأساس. فهي نظريّة قد بيّنت أنّ الحدث الأوّل هو حدث الإنشاء وأنّ البنية المقوليّة الحدثيّة الأولى هي بنية الحدث الإنشائيّ.

ولعلّ قيمة ما أنجزته نظريّة [إن ك] كامن في أنّ المتكلّم الذي يعدّ منجزا للغة ومتحكّما في الدلالة من خارج النظام اللغويّ ومن خارج البنية باعتباره المنجز قد صار في هذا التصوّر جزءا من البنية له موضع فيها وقابلا لأن يكون عاملا أو معمولا فيها. وهو متكلّم حاضر في جميع مستويات هذا النظام بما في ذلك المستوى الأكثر تجريدا. فرأى الشريف أنّه من الضروريّ أن يحدّد لـــ **[حا]**"**قيمة داخل النظام النحويّ**"[96]، ليضمن انغلاق النظام على نفسه.

والمهمّ في هذا التصوّر أنّه يميّز بين حضور المتكلّم باعتباره فاعلا منشئا للعلاقة والبنية – وهو المتكلّم الذي يعنينا– و حضوره باعتباره مفعولا متحدّثا عنه. وذلك بتمييزه بين الفاعل في موضع الإنشاء والفاعل في موضع الإحالة. فتمييز الشريف بين الصنفين من الأحداث قد نبّه إلى صنفين من الفاعلين: فاعل للحدث وفاعل للبنية الحدثيّة، التي يمثّل الحدث والحادث طرفيها. أي المنشئ للبنية الحدثيّة باعتبارها علاقة بين طرفين. وهو ما يمكّننا من أن نستعمل الضمير "أنا" في مستوى الخطاب في أقوال متّسمة بالموضوعيّة.

4) 5-2-التفاوت في تجريد المتكلّم المقاميّ:

نتبيّن من خلال قراءتنا لنظريّة [إن ك] أنّ [حا] التي تمثّل حادث الحدث تتغيّر قيمتها الدلاليّة بتغيّر المستوى الذي تعتبر فيه[97]. فهي في مستوى البنية الحدثيّة المقوليّة الإعرابيّة المجرّدة تعدّ "متكلّما واضعا" أو "منشئا" للبنية. وهيفيالمستوى التصريفيّ المعجّم "المتكلّم المحتمل". أمّا في مستوى البنية الصوتيّة فتأخذ قيمة إحاليّة فتدلّ على "المتكلّم المقاميّ" المنشئ مقاميّا للأعمال اللغويّة المختلفة. فيكون التعيين الإحاليّ مقياسا مهمّا في التمييز بين "المتكلّم المحتمل" و"المتكلّم المقامي".

فيعدّ "المتكلّم المقاميّ" في هذا المستوى منتقيا للعناصر المعجميّة التي بها يملأ البنية الإعرابيّة المجرّدة فيعجّمها. فتظهر زاوية نظر المتكلّم في اختياره لشكل من أشكال البناء وتتجلّى بذلك مظاهر الفرديّة إمّا صريحة وإمّا ضمنيّة. غير أنّ هذا الدور لا يعدّ دورا فرديّا يحدث بفعل إيقاع حدث التلفّظ في المقامات الآنيّة كما تبرز أغلب المباحث التداوليّة. بل هو دور يمثّل تحقيقا لدور مسجّل في النظام اللغويّ ممثّل في [حا] الإنشائيّة. فتتحقّق الفرديّة بفضل الذاتيّة التي بني عليها هذا النظام. وتتجلّى باعتبارها نتاجا لتعالق بين [حا] المنشئة للبنية و[حا] في موضع الإحالة التي تحيل على المتكلّم المقاميّ.

فيمكّننا النظام اللغويّ بتمييزنا فيه بين المستويات من أن نتمثّل أبعادا ثلاثة للذات المتكلّمة: البعد الفرديّ ويمثّله "المتكلم المقاميّ"، والبعد الثقافيّ الاجتماعيّ ويمثّله "المتكلّم المحتمل"، والبعد الجماعي الإنسانيّ ويمثّله "المتكلّم الواضع". وهو الذي يمثّل التجريد الأعلى للمتكلّم في جميع الألسن.

ويجب أن لا يغيب عن أذهاننا أنّ هذه الأبعاد الثلاثة للذات ممثّلة في النظام اللغويّ في مستويات مختلفة، ولكنّها مستويات قائمة على الاسترسال والتشارط والتواجد. فجميعها تتعامل معا لتبني صورة تشكّل الذات اللغويّة. وهي ذات متكلّمة بالأساس. فيضطلع النظام اللغويّ ببناء الذات قبل التحوّل إلى بناء التواصل بالآخر. وهي علاقات تنشئ التفاعل والتعامل بين مختلف مكوّنات النظام اللغويّ كما تصوّرالتعالق بين

"المتكلّم الواضع"و"المتكلّم المقاميّ". وتفسّر الاسترسال بين تجربة الذات الفرديّة وتجربة الذات التاريخيّة وتصوّر ما بين الفرد والجماعة من تلازم.

ولا شكّ في أنّ سمة الدائريّة في النظام اللغويّ تقوّي هذا التداخل وتصعّب مهمّة التمييز بين المستويات. وهو ما أدّى إلى غياب التمييز الواضح بين الذاتيّة والفرديّة من جهة وبين الذاتيّة والموضوعيّة من جهة أخرى. فالتعمّق في تحديد ماهية الذات الآنيّة تنتهي بنا إلى الذات الاجتماعية التاريخيّة. وتبيّن خصائص الذات الاجتماعيّة التاريخيّة يرجعنا بالضرورة إلى الذات الآنيّة.فلا سبيل إلى أن نفصل الذات عن زمانها ومكانها وعن الآخر لأنّ حقيقتها تكمن في مظاهر تعالقها بها. فحقيقة الذات هي حقيقة اجتماعيّة تاريخيّة.

5)– التمييز بين الذاتية والفردية

هو تمييز مهمّ في طرحنا يساعد أيضا في تبيّن التفاوت التجريديّ بين مستويات النظام. وقد رأينا أنّه لم يحظ بالاهتمام اللازم في تناول اللسانيين للذاتيّة. فاحتاج منّا إلى قراءة تأويليّة وإبراز. فالتمييز الأساسيّ بين المفهومين يقوم على تفاوت درجات التجريد كما بيّنا. فمفهوم "الذات" مفهوم مجرّد يتّسم بالتعميم والإطلاق. أمّا مفهوم"الفرد" فهو مفهوم ماديّ مقاميّ يمثّل تجسيدا إمكانيّا لـــ "الذات". ويرتبط مفهوم الفرد بـــ"المتكلّم المقاميّ" المنجز للأقوال. فهو يتدعّم بالآنيّة والإنجاز. بينما يرتبط مفهوم "الذات" بـــ"المتكلّم المثاليّ" المجرّد القابل لأن يتجسّد فردا في المقامات التخاطبيّة الممكنة. ولذلك فإنّه يكون من شروط البحث العلميّ تجاوز الحالات الفرديّة إلى بحث عامّ مطلق تضمنه عمليّة التجريد.

وبما أنّه ليس للباحث في اللغة من خيار غير الانطلاق من الأقوال المنجزة، فإنّ الذات المتكلّمة المجرّدة ستكون بالضرورة تجريدا للذات المتكلّمة الفرديّة. فيكفي أن تفارق المقامات الحقيقيّة الآنيّة باستعمال آليّة التجريد لتفارق مستوى الفرديّة إلى مستوى الذاتيّة.

والأكيد في التناول العلميّ للظاهرة مقابلتهم بين الموضوعيّة والفردانيّة[98]. فالذاتيّة عندهم هي فردية يقابل فيها بين الفرد والجماعة والمعرفة المشتركة والمعرفة الخاصّة.

هذا التمييز بين المستويات يستلزم تمييزا واضحا بين الذاتيّة والفرديّة. فالمتكلّم المقاميّ لا يكون إلاّ فردا ولا يعبّر إلاّ عن فرديّته وما يمكّنه من التعبير عن هذه الفرديّة هو حضوره على صورة مجرّدة في النظام اللغويّ وتجريده يكون بتحوّله من فرد إلى ذات مجرّدة.

وقد بدا لنا أنّ بنفنيست قد ميّز حسب قراءتنا لنصوصه بين "الذاتيّة "والفرديّة" بتنبيهه إلى أنّ الذاتيّة لا تتعلّق بالمشاعر التي هي فرديّة وخاصّة بكلّ "**شخص**". بل إنّ الذاتيّة أوسع من ذلك بكثير، لأنّها تتجاوز ماهو شخصيّ فرديّ إلى ماهو جماعيّ كلّي. فالذات"**وحدة نفسيّة تختزل مجمل التجارب**"[99]. ممّا يجعل وعي الذات يتعلّق بوجودها الداخليّ لا بوجودها الخارجيّ، أي باعتبارها كائنا ماديّا له وجود في الكون الخارجيّ. فقدرة المتكلّم على أن يضع نفسه "موضوعا" تجعله يعي بوجوده باعتباره كائنا خارجيّا في الكون وتجعله يعي في الآن نفسه بكونه هو الواضع أي الذي وضع نفسه في هذا الموضع. وبذلك تكون المواجهة بين الذات المنشئة للموضوع والذات الموضوع[100].

ثمّ إنّ الذات بهذا المفهوم هي التي تضمن "**ديمومة الوعي**" وهي ديمومة لا يمكن أن تتحقّق مع الفرد لأنّه غير دائم. بل هي تتحقّق به باعتباره لبنة من لبنات بناء الوعي. ممّا يجعل الذات مفارقة ومجاوزة للفرد، وإن كانت تتبع منه.

فهذا "**المنشئ**" أو "**المتكلّم الواضع**" هو ابن التاريخ من رحمه ولد وفيه نشأ وترعرع وتطوّر. فهو قديم أزليّ مغرق في التاريخ. فينخرط هذا التصوّر كل الانخراط في الفلسفيّة الهيجليّة وما قامت عليه من جدليّة بين التجربة الفرديّة والتاريخ. فتأثير النسق الهيجلي[101] واضح في هذا التصوّر. فهذا النسق، الذي يتقوّم بتشكّل البنية بفضل تفاعل العناصر الجزئيّة، ويتميّز بانغلاق على عناصره الخاصّة وانفتاح على بقيّة العناصر المجاورة له، قد سيطر على صيرورة الذات المتكلّمة في النظام اللغويّ المتصوّر. فبرّر حسب اعتقادنا محافظة صاحب نظريّة[إن ك] على مصطلح "متكلّم" في أقصى درجات التجريد ليذكّر بهذه العلاقة الجدليّة بين الإنسان الفرد والإنسان التاريخ. فـــ"المتكلّم الواضع" هذا الكائن التاريخيّ، هذا الشيء المفرط في التجريد الضارب في القدم، المسجّل لـــ"**مراحل الارتقاء الطبيعيّ والثقافيّ**" لا ينقطع مطلقا عن كونه "**المتكلّم**" باعتباره حادثا لحدث الإنشاء.

هذا التحديد للذاتيّة يجعلنا نراوح بين مجالين مجال اللغة ومجال فلسفة اللغة. فيدلّ على ما بين المجالين من استرسال وتداخل، يصعب معه وضع حدود صارمة، على الأقلّ مع هذه الخاصيّة، خاصيّة الذاتيّة التي لا تؤسّس للفرديّة والقطيعة مع الآخر، بل تؤسّس للتشاركيّة والتواصل. فيتداخل الذاتيّ بالاجتماعي ويكون وجود أحدهما مرتهنا بوجود الآخر. فيؤكّد بنفنيست أنّ لعلاقة التقابل التي تقوّم علاقة الفرد بالمجموعة وتؤسّس مفهوم "الأنا" ومفهوم "المجتمع" أساسا لسانيّا ليس فقط يمثّلها بل يقوّمها، باعتبار أنّ الوعي بـــ"أنا" لا يحصل إلاّ بالوعي بـــ"اللاأنا". فتبرز السمة الاجتماعيّة في الظاهرة اللغويّة باعتبار أنّ "**المجتمع هو شرط اللغة**"[102].وهو بذلك يؤكّد أنّه لا تقابل بين السمتين أي "الذاتيّة " و"الاجتماعيّة". فلا يذوب الذاتيّ في الجماعيّ، ولا تحول الذاتيّة دون أن تكون اللغة ظاهرة اجتماعيّة جماعيّة. فوظيفة التخاطب و مركزيّة "أنت" في هذه الوظيفة تجعل"**الفرد والمجتمع مصطلحين متكاملين لا متقابلين. ففي اللغة وباللغة يتحدّد كلّ من الفرد والمجتمع**".

5) -1 – مركزيّة الوعي في التمييز بين الذاتيّة والموضوعيّة

يحكّم ينفنيست ولانقاكار في تمييزهما بين الذاتيّ والموضوعيّ مقياسا نفسيّا يتمثّل في "الوعي"، الوعي الكلّيّ أو الجزئيّ أو"اللاّوعي".فيبرز لانقاكير أنّ العلاقة بين الذاتيّ والموضوعيّ في التصوّر تكمن في الوعي أو في "**غياب الوعي لدى المتصوّر بدوره في الوضع**"[103]. ويربط بنفنيست ربطا تلازميّا بين "**الذاتيّة**" و"**الوعي**"، ذاتيّة لا تقوم على الشعور بالوجود في المطلق. بل على وعي الإنسان بأنّه كائن اجتماعيّ "يعيش" "تجارب" في فضاء مّا و"تختزل" ذاته هذه التجارب التي لا شك أنّها لا تكون إلاّ مع الآخر غير الأنا.وهو وعي لا يتحقّق حسب بنفنيست إلاّ باللغة."**فالوعي بالذات لا يتحقق إلا بواسطة التناقض**"[104]، تناقضيتحقق في التقابل الذي يقوم عليه التخاطب بين "أنا" واللاأنا "الذي هو "أنت".

فلا شكّ في أنّ الذات هي التي تصوّر وتبني التصوّرات بناء ذاتيّا. ولكنّ مقياس التمييز بين ما هو ذاتيّ وما هو موضوعيّ إنّما يكون الوعي ودرجاته. فكلّما ضعف الوعي بدور المتصوّر ضعفت الذاتية، وكلّما قوي الوعي بهذا الدور قويت الذاتيّة. وهو ما يجعل الحكم بالذاتيّة أو بالموضوعيّة على موضوع مّا قرارا نتّخذه ونحافظ عليه وندافع عنه، أي هو حكم ذاتيّ قد قرّرنا بوعينا أنه ذاتيّ أو أنّه موضوعيّ. ولكن لئن كانت الموضوعية خيارا وقرارا نتجاهل فيه عن وعي أو عن غير وعي دورنا الذاتي فيه، فإنّ الذاتيّة أمر يفرض نفسه علينا فرضا نحاول أن نتجرّد منها. ولكن هيهات. فكيف للذات أن تنكر وجودها وكيف لنا أن نتخلّص من ذواتنا. فلا بدّ أن نكون على وعي بأنّنا نعي أو لا نعي بدور ذاتنا حتى نضع الخيط الفاصل بينهما.

5) 2- دور "التناظر" و"التقارن الإحاليّ" في تفسير الذاتيّة/ الفرديّة

اعتمد لانقاكار في تفسير ظاهرة الفرديّة ومظاهر تدرّجها مفهوما مهمّا هو مفهوم "التناظر". واعتمد الشريف مفهوما لا يقلّ أهميّة وهو مفهوم "التقارن الإحاليّ". وقد بدا لنا أنّ المفهومين يلتقيان ويتشابهان في كيفيّة الاشتغال رغم أنّ "التناظر" مصطلح نعدّه دلاليّا، فهو تناظر بين "الإدراك الفردي" و"المكوّن المدرك" و "التقارن الإحاليّ" مصطلح نعدّه نحويّا فهو مصطلح يطلقه الشريف على "**العلاقة بين المقدَّر والمفسِّر**"[105].

ويبدو لنا أنّ قيمة المفهومين كامنة في اعتبار المتكلّم المقاميّ ممثّلا في النظام اللغويّ. وأنّ حركة الذاتيّة هي حركة داخليّة باعتبار أنّ مظاهرها في مستوى اللفظ لا تحيلنا على متكلّم مقاميّ خارجيّ إلاّ بواسطة تمثيله تمثيلا مجرّدا داخل النظام. فيحيل الضمير "أنا" مثلا عند الاستعمال على "المتكلّم المنشئ" في موضع الإنشاء حسب نظريّة [إن ك]، ويستحضر المتصوّر المنشئ للتصوّرات في نظريّة النحو العرفانيّ. فتدلّ في النظريّة الأولى على "التقارن" وتدلّ في النظريّة الثانية على "التناظر".

ويشترك المفهومان في التسليم بأنّ الفرديّة في مستوى الاستعمال والتخاطب إنّما هي تنتج من شكل مخصوص من أشكال التعالق بين حضور "المتكلّم الواضع" أو "المتصوّر" وحضور "المتكلّم المقاميّ" في المفهوم. فالفرديّة تعبير عن تملّك الفرد للمفهوم باعتباره من وضعه الخاصّ والفرديّ. فيتناظر مع المتكلّم الواضع أو المتصوّر الذي يعزى إليه وضع المفاهيم والعلامات اللغويّة والأفكار.

فـــ"التناظر" و"التقارن" ضرب من التماهي بين "المتكلّم الواضع" و"المتكلّم المقاميّ" يحققه الوعي. فأن يضع المتكلّم نفسه موضوعا لا يعني فقط أن يتحدّث عن نفسه باستعمال وحدات معجميّة تحيل عليه. بل يعني أن يصرّح بحضوره في بناء الوحدة المعجميّة أو في بناء الجملة باعتباره الباني والمنشئ لهما. فهو المنشئ للتصوّرات أي للمفهوم وهو المنشئ للجملة أي لبنيتها المعجميّة والمسؤول عن تعجيمها.فينبّهنا هذا التصوّر في تفسير الفرديّة إلى حقيقة علميّة أساسيّة، تتمثّل في أنّ المفاهيم التي هي عماد النظريّات والضامن لتطوّر العلوم بتطوّرها إنّما هي في الأصل من وضع الذات في بعدها الفرديّ وتقوى ببعدها الاجتماعيّ التاريخيّ.

فالتصريح بالفرديّة وعدم التصريح الذي فسّرته نظريّة لانقاكار بماهو أماميّ وماهو خلفيّ، أو بما يسلّط عليه الضوء فوق ركح المسرح وما يبقى خارج دائرة الضوء، وبما يمثّل مركز تبئير، فيكون بارزا، وما يبقى في مجال بعيد من الوسع فيكون حاضرا دون أن يبرز الخ... يفسّر في نظريّة [إن ك] تفسيرا بنيويّا باعتباره شكلا من أشكال التعامل بين مواضع في البنية النحويّة محكومة بقواعد العمل الإعرابيّ، تقوى وتضعف حسب "التقارن الإحاليّ".

الخاتمة

درسنا في هذا البحثظاهرة الذاتيّة في اللغة وحاولنا الاستدلال على تجذّرها في النظام اللغويّ بجميع مستوياته. فاعتمدنا مقاربة لسانيّة تبرز أنّ الذاتية مفهوم لسانيّ قبل أن يكون مفهوما فلسفيّا.فأبرزنا سيطرة النظام اللغويّ بمستوياته البنيويّة المجرّدة على تجليّات هذه الظاهرة في مستوى الخطاب. فمقوّمات الذاتيّة كامنة في كلّ بنية لغويّة مهما كنت درجة تجريدها. ودعمنا هذه الفرضيّة بما بدا لنا ملائما من النظريات اللسانيّة. فوجّهنا العناية نحو نظرية لانقاكير في النحو العرفانيّ ونظرية الإنشاء النحويّ للسانيّ التونسيّ محمد صلاح الدين الشريف.فقدّمنا تصوّرا نظريّا قادرا على أن يفسّر سيطرة النظام ببناه المجرّدة على الأقوال

المنجزة من جهة ويمثّل العلاقة الجدليّة بين الإنسان واللغة من جهة أخرى، ويبرّرالتداخل بين الفردي والاجتماعي، والاجتماعي والإنسانيّ الذي يبرّر التداخل بين الذاتية والموضوعيّة.

حدّدنا درجات متفاوتة في تجريد المتكلّم المقامي تثبت حضور الذات في مستويات مجرّدة من البنية اللغويّة. وانتهينا إلىأنّ الذاتيّة ممثّلة لدلالة مجرّدة تتحقّق عند الإنجاز في معنى الفرديّة. فالمتكلّم المنجز للأقوال هو "فرد" يعبّر عن فرديّته. و"المتصوّر" أو "المنشئ" الذي هو تجريد للفرد داخل البنية هو ذات لغويّة تؤسّس الذاتيّة وتتحقّق في شكل أفراد مستعملة للغة. فأبرزنا مظاهر تحكّم الأكثر تجريدا منها في الأقلّ تجريدا. ممّا يثبت أنّ المتكلّم المقاميّ خاضع لسيطرته المتكلّم المنشئ، وأنّ الفرديّة التي تتجلّى عند الإنجاز ليست سوى تحقيق لإمكانيّة من إمكانيّات الذاتيّة التي يوفّرها النظام اللغويّ بفضل تقوّمه بالمتكلّم المنشئ.

بيّنا باعتماد المقاربة النحويّة في تناول ظاهرة تداوليّة هي الذاتيّة أنّ الاختلاف في تفسير الظواهر اللغويّة باعتماد النحو أو باعتماد التداول لا يؤشّر على الفصل بين المجالين واختلاف الموضوع في العلمين. بل يدلّ فقط على اختلاف في المستوى المعتمد للتفسير.فالظاهرة نفسها قد تتجلّى بطرق وأشكال مختلفة تختلف بالتحوّل من مستوى إلى مستوى آخر. وهو أمر نراه مهمّا جدّا في تفسير ما يبدو لنا من اختلافات بين النظريّات وفي تيسير إدراك ملاءمة بعضها لبعض.

وقفنا على أهميّة المقاربة الداخليّة في سبر أغوار البنية اللغويّة مقارنة بالمقاربة الخارجيّة وقيمتها في تحديد الذاتيّة وفي الاستدلال على أنّ المتكلّم ذات منشئة للبنية من داخل البنية.

فسّرنا ظاهرة التصريح وعدم التصريح بالذاتيّة في مستوى البنية المعجّمة وما ينتج عنها من إقرار بقوّة الذاتيّة أو ضعفها بحركة تعامليّة بين موضعي الإنشاء والإحالة تتحكّم فيها خاصيّتان أساسيّتان هما خاصيّة اللاوسم في الإنشاء وخاصيّة الانخزال في الإحالة.

قاربنا بين مفهومين اعتبرناهما أساسيين في تحديد الذاتية، وهما مفهوم "التناظر" للانقاكار ومفهوم "التقارن الإحاليّ" للشريف. وذلك للتنبيه إلى ما رأيناه من تلاؤم بين الوصف التصوّريّ الدلاليّ الذي اعتمدته نظريّة النحو العرفانيّ والوصف البنيويّ الإعرابيّ الذي اعتمدته نظريّة الإنشاء النحويّ، تلاؤم يثبت بالنسبة إلينا نحويّة الدلالة.

وانتهينا إلى أنّ النظام اللغويّ يتقوّم بالذاتيّة اعتمادا على تصوّر أنّ للمنشئ قيمة داخل النظام، باعتبار أنّ وجود العلاقة المقوّمة للبنية تقوم دليلا على حضور المتكلّم المنشئ. فالذات مكوّن داخليّ في النظام تساهم في تقوّمه، وبتغييبها أو استبعادها يختلّ النظام ويفقد انتظامه.

الهوامش

1 اعتنت الجامعة التونسيّة بإعادة قراءة التراث النحويّ العربيّ باعتماد آليات نظريّة حديثة وأُنجزت بحوث عديدة في هذا الإطار نراها على قدر كبير من الأهمية في السنوات الأخيرة. انظر مثلا أعمال الشريف والمبخوت وميلاد والشاوش ...

2 نحن نناصر في هذا التوجّه مقترحا نظريّا مثّل مشروع بحث في الجامعة التونسيّة وضعه استاذ اللسانيات التونسيّ محمد صلاح الدين الشريف ووضّح مبادئه في كتابه "الإنشاء النحويّ للكون"

3 هو مجال بحث اعتنينا به في جلّ أعمالنا من كتب ومقالات منشورة في مجلات محكّمة.

4"هذه الذاتيّة ليست إلاّ انقداحا في الكائن لخصيصة أساسيّة في اللغة" ..."في اللغة وباللغة ينشئ الإنسان نفسه موضوعا لأنّ اللغة فقط في الواقع تؤسّس، في واقعها الذي هو واقع الكائن، مفهوم "الأنا".(Benveniste ج 1 ص 258)

5Zin Jean : Sujet – Objet de Descartes à l'é cologie » jean Zin. fr/ ecorevo/ philo/ sujetobj.htm

6Benveniste:p260.

7Chalmers1987,p159.BLANCHOT,1999,p32.

8Chalmers, 187, p188.

9Popper, 1998,201.

10 انظر كتاب "الذاتية في النظام اللغويّ" الباب الأوّل من القسم الأوّل

11خصص بنفنيست Benveniste مقالا في هذا الكتاب "في الذاتيّة في اللغة". (ج 1ص 257–275)

12 Benveniste, p260.

13 "la subjectivité est enraciné dans le langage" Benveniste ; p260 .

14انظر تفصيلا لهذه المسألة في باديس 2018

15ج1 ص258.

160recchioni,1980,30-73.

170recchioni,1980,30.

18ص102.

19Langacker,1991,p223.

20انظر قراءة تحليليّة نقدية لنصوص بنفنيست في هذا الموضوع في باديس 2018، الفصل الثاني من الباب الأول والفصل الأول والثاني والثالث من الباب الثاني من القسم الأوّل ص ص 53– 146 .وقد حرصنا فيها على إبراز ما رأينا أنّه يؤشّر على تجاوز بنفنيست للمقاربة المعجمية اللفظيّة.

21Benveniste,254 ج1 ص

22 انظر تفصيلا للدلالة الإشاريّة للزمن في الأفعال في باديس 2009.

23ج 1ص 261

24ص 261

25ص 262

26ص 262–263

27ص 264

28 انظر بنفنيست ج1 ص238

29Orecchion,1980,30-31.

30Orecchioni,1980,73.

31والمشيرات المقامية هي عبارات معجميّة تحيل على مقوّمات حدث التلفظ: المتكلم "أنا" والزمان "الآن"، ومستلزماته: المخاطب "أنت" والمكان "هنا" وما تعلق بها من عبارات لا تتحدد دلالتها وإحالتها إلا باستحضار هذه المقومات وهذه المستلزمات. انظر باديس 2009.

32Orecchioni,1980,32.

33Orecchioni,1980,30.

34Orecchioni,1980,70.

35Orecchioni,1980,72.

36Orecchioni,1980,73.

37Orecchioni,1980,73.
38Orecchioni,1980,151.
39Orecchioni,1980,151-152.
40Orecchioni,1980,152.
41Orecchioni,1980,1598-159.

42 انظر باديس 2018 القسم الثاني، الباب الأوّل.

43انظر باديس 2018

44استعمل بنفنيست مصطلح "التذاوتيّة" intersubjectivité قبل استعماله لمصطلح "الذاتيّة". وهو مصطلح مهمّ حسب رأينا من حيث أنّه ينبّه إلى أنّ خروج الظاهرة اللغويّة من الفرديّة التي تؤسّس لظاهرة الإنشاء في اللغة إلى التشاركيّة التي تؤسّس للتخاطب باستحضار الآخر "غير الأنا" أي" أنت"، لا تفقد اللغة شيئا من سمة"الذاتيّة". فتتحوّل إلى "تذاوتيّة". انظر تفصيلا للمسألة في باديس 2018

45 هو محمد صلاح الدين الشريف لسانيّ تونسيّ كتب أطروحة في مجلّدين عنوانها "الإنشاء النحوي للكون" قدّم فيها تصوّرا نظريّا لسانيّا لمكوّنات النظام اللغويّ وكيفيّة اشتغاله وتوليده للدلالة.

46 انظر كتاب "الإنشاء النحويّ للكون" للشريف.

47يجدر التنبيه إلى أنّها وجوهُ شبهٍ لا تُعلّل بتأثّر أيّ نظريّة منهما بالأخرى. فنظريّة الإنشاء النحويّ للكون نظريّة قد تبلورت أسسها في الثمانينات، وتمّت مناقشتها بعد اكتمالها سنة 1993. في حين أنّ أوّل ما ظهر لنا من نظريّة لانقاكار كان سنة 1991.

48Langacker,2013,27.

49الشريف ص 559

50**الشريف، ص 185**. هذا يمثّل اختلافا جوهريّا بين نظريّة[إن ك] ونظريّة النحو العرفانيّ التي تربط الدلالة بعمليّة التصوّر وتعتبرها عمليّة عرفانيّة غير لغويّة كما رأينا مع لانقاكار.

51الشريف ص 273

52الشريف، ص 169

53 انظر تقديما مفصلا للنظريتين في كتاب باديس 2018 "الذاتية في النظام اللغويّ" القسم الثاني.

54Langacker,2002,3.

55نفسه ص 217

56الشريف ص 276

57نفسه: ص276

58الشريف ص 271.

59الشريف ص 305

60نفسه ص 320

61 نفسهص 320

62 نفسه ص 314

63 نفسه ص 431

642013ص 25

652013 ص 15

66Langacker,2002,2.
67Langacker,1991,290-291. &Langacker,2002,2.
68Langacker,1991,16.
69Langacker,2013,44.
70Langacker,2013,43.
71"السيّار" و"الهدف" ترجمة وضعها عبد الجبار بن عربيّة في كتابه "مدخل إلى النحو العرفانيّ (نظريّة رولاند لانقاكر Langacker).
مسكيلياني للنشر، كليّة الآداب والفنون والإنسانيّات بمنوبة. سلسلة لغويّات.
72Langacker1991,223.
73Langacker,1991,151.
74Langacker,1991,316.
75 انظر تحليلا لهذه المسألة في مقال باديس 2011.
76 انظر تفسيرا وتدقيقا للمسألة في الشريف ص 540–560
77 الشريف ص 780.
78 هذه البنية الإعرابيّة نراها ملائمة جدّا للبنية التصوّريّة الدلاليّة للانقاكار القائمة على سيّار وهدف فالعامل هو الذي يسير نحو هدف هو المعمول فيتحقق ي الآن ذاته بنية دلاليّة تتشكّل في بنية إعرابيّة لأنّه عند الإنجاز لا يفصل بين الإعراب والدلالة. فمنبع – مورد ملائمة لسيّار – هدف.
79الشريف ص 780.
80انظر الاسترابادي "شرح الكافية" ج 1 ص 66 و 72.
81الشريف ص 559.
82الشريف ص 512
83**الشريف ص 551**
84الشريف ص 512
85ويبدو أنّ الحركة الانخزاليّة التي تتميّز بها اللغة تضمن تحققّ ديناميكيّة نظامها بعمليّة الإذابة وحدث الذوبان. فالحادث يذوب في حدثه سواء أكان حدثا إنشائيّا أم إحاليّا وكلّ من الحدث الإنشائيّ والحدث الإحاليّ يذوبان في شحنتهما الوجوديّة. والشحنة الوجوديّة الإحاليّة تذوب في الشحنة الوجوديّة الإنشائيّة. فهذه الشحنة هي التي تستوعب وتبلع كلّ ما يعبّر عن الإحالة من أحداث وحادثين فتسيطر عليها.(انظر الشريف ص 517).
86الشريف ص 516
87نفسه
88 نفسه ص 512
89 نفسه ص 547
90نفسه ص 512
91ومهمّ أن ننبّه إلى أنّ حدث الإنشاء في البنية الإعرابيّة لا يحتلّ موضعا واحدا في تمثّلنا لهذه البنية المعجّمة هو موضع الصدارة. بل إنّ الدور التكراريّ يجعله موضعا متصدّرا لكلّ حدث إحاليّ ولكلّ شكل من أشكال التعالق التي تتقوّم بها هذه البنية ممّا يحكم سيطرة المتكلّم على كلّ البنية بجميع مكوّناتها وجميع مواضعها.

ذلك أنّها بنية تتقوّم بنواة واحدة هي [ححا] قابلة لأن تصنّف تصنيفين فقط هما [ححا] الإنشائيّة و[ححا] الإحاليّة تتكوّن بهما البنية الإعرابيّة. أمّا ما يحقّق ثراء هذه البنية وتنوّعاتها إنّما هو الحركة التكراريّة اللامتناهية لهاتين البنيتين.

92نفسه ص 510

93**نفسه ص 510**

94نفسه**ص 512**

95نفسه ص 556

96 نفسه**ص 506**

97انظر تفصيلا للمستويات في الشريف ص 306 و ص506.

98 انظر باديس 2018 الباب الأوّل.

99Benveniste258 ج 1ص

100المقابلة سيعبّر عنها لانقاكار في نظريّته بالمقابلة بين المتصوّر والمتكلّم ويمثّلها بالنظارات ويعبّر عنها الشريف بنيويّا بالتمييز بين موضع الإنشاء الذي فاعله هو المتكلّم المنشئ وموضع الإحالة الذي لا يمكن أن يكون فاعله إلاّ موضوعا متحدّثا عنه كما سنبيّن في الفصول اللاحقة.

101انظر بحري، 2015 ص 24 .

101Benveniste65 ج 1 ص
101Langacker151 1991ص
101Benveniste**259** ج 1**ص**

[101] الشريف ص 1070

CONFLICT OF INTERESTS
There are no conflicts of interest

المصادر

المراجع العربيّة:

1. **الاسترابادي** (رضي الدين): 636 هـــ: "شرح الكافية في النحو" دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1995.
2. **باديس** (نرجس): 2009 "المشيرات المقاميّة في اللغة العربيّة"، النشر الجامعيّ،.تونس.
3. : 2011 "من مظاهر تأثير المفاهيم اللسانية الحديثة في قراءة التراث النحوي العربيّ: مفهوم الاسترسال نموذجا."نشر عالم الكتب الحديث الأردن.
4. : 2018 "الذاتية في النظام اللغوي" عن الدار التونسية للكتاب وكلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة/ سلسلة كلام لسان.
5. **بحري** (محمد الأمين) 2015، "البنيويّة التكوينيّة من الأصول الفلسفيّة إلى الفصول المنهجيّة " الطبعة الأولى منشورات ضفاف بيروت، كلمة للنشر والتوزيع تونس، دار الأمان الرباط، منشورات الاختلاف الجزائر.
6. **بن غربيّة** (عبد الجبار):2010 "مدخل إلى النحو العرفانيّ (نظريّة رولاند لانقاكر Langacker).

1. مسكيلياني للنشر، كليّة الآداب والفنون والإنسانيّات بمنوبة. سلسلة لغويّات.
7. **الشريف** (محمد صلاح الدين) 2003: "الشرط والإنشاء النحوي للكون بحث في الأسس البسيطة المولّدة للأبنية والدلالات"، جامعة منوبة منشورات كلّية الآداب سلسلة لسانيات مجلد 16 تونس.
8. **Benviniste**(Emile:) 1974 « Problèmes de linguistique générale" 1 et 2 Editions Gallimard,1974. 1995, CérèsEdition, Tunis.
9. **BLANCHOT** (Fabien):1999 " La Connaissance Objective » de Karl Popper : principales thèses et apports pour les recherches en gestion" .Université de Paris IX Dauphine.
10. **Chalmers**, A. F. 1987":Qu'est--ce que la science?: Popper, Kuhn, Lakatos, Feyerabend." Le Livre de Poche, coll. «Biblio essais», Paris, trad. Michel Biezuski,. .
11. **Kerbrat Orecchion**i, C. :1980" L'énonciation : de la subjectivité dans le langage." Armand Colin. Paris
12. **Langacker** (Ronald W)1991":Concept, Image, and Symbol The Cognitive Basis of Grammar" Mouton de Gruyter Berlin · New York.
13. **Langacker**(Ronald W) 2002*:*Deixis and subjectivity" in "Grounding
14. The Epistemic Footing of Deixis and Reference" *Ed by* Frank Brisard
15. Mouton de Gruyter Berlin · New York 2002.
16. **Langacker** (Ronald W) 2013:Essentials of Cognitive Grammar Oxford University Press
17. **Lebas** Frank, Cadiot Pierre2003:"Monter et la constitution extrinsèque du réfèrent"
18. In: Langages, 37e année, n°150,. pp. 9-30.
19. **Lyons**, John. (1982). 'Deixis and subjectivity: *loquor ergo sum.*' In R. Jarvella and W. Klein (eds.), *Speech Place and Action: Studies in Deixis and Related Topics*. Chichester and New York, pp 101-124.
20. **Lyons**(John): 1984 » La Subjectivité dans le langage et dans les langues »Actes du colloque international du C.N.R.S : Emile Benveniste aujourd'hui. » Université François Rabelais 1983 ; ED PEETERS. Paris 1984 pp 131- 140
21. **LYONS**.J: 1968 " Introduction to Theoretical Linguistics" .Londres &New York Cambridge University Press (traduit en 1970).
22. **NATORP**(PAUL::)1981 "On the Objective and Subjective Grounding
23. of Knowledge. " journal of the British Society for Phenomenology, Vol. 12 No. 3, ED by David Kolb.
24. Popper, K., 1998: La connaissance objective. Trad. Jean ---Jacques Rosat.
25. Flammarion collection Champs.
26. Emmanuel Dupoux، Textes en l'honneur de Jacques Mehler. Traduit de l'anglais par Marie-France Desjeux . Editions Odile Jacob. Paris.
27. **Zin**(Jean) :" Sujet – Objet de Descartes à l'écologie" jeanZin.fr/ ecorevo/ philo/ sujetobj.htm